دير القديس أنبا مقار

برية شيهيت

الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي

الجزء الثاني

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

برية شيهيت

الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي

الجزء الثاني

الأب متى المسكين

كتاب: **الخلقة الجديدة للإنسان**

في الإيمان المسيحي.

(الجزء الثاني)

المؤلف: **الأب متى المسكين.**

الطبعة الأولى: ٢٠٠٠.

(مقالات سبق نشرها في مجلة مرقس عامي: ١٩٩٨ و١٩٩٩، ومقالات أخرى لم يسبق نشرها).

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٨١٢ / ٢٠٠٠

رقم الإيداع الدولي: 977-240-088-x

مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.

ص. ب ٢٧٨٠ ـ القاهرة.

المحتويات

مقدمـة

الخليقة الجديدة للإنسان
أو الميلاد الثاني

سألني صديق: هل يمكن أن تُلخِّص لي موضوع الخليقة الجديـدة الـتي تقـول عنها أنها الميلاد الثاني للإنسان؟ فقلتُ له:

لقد تولّى نيقوديمـوس عـني وعـن البشـرية كلهـا هـذا السـؤال لَمَّـا تعثَّر في خطوات الخوف والريبة ليُقابل المعلِّم ويسأله هذا السؤال بصـورة أخـرى أهـم، وهي: كيفية الدخـول إلى ملكـوت الله؟ ومَـنْ هـو الـذي يُؤهَّـل لهـذا الشـرف الأسمى؟

فأجابه المعلِّم وقال: «الحق الحق أقول لك: إن كان أحدٌ لا يُولَد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» (يو ٣:٣). فبرهن نيقوديموس عـن عـدم استعداده للفهم، وأسقط من إجابة المسيح كل ما فيها عدا عبارة "يُولَد الإنسـان ثانيـة"، وردَّ عليه بسؤال جاهل: «كيف يمكن الإنسان أن يُولَد وهو شيخ؟ ألعله يقـدر أن يدخل بطن أُمه ثانيةً ويُولَد؟» (يو ٣:٤)

فعَلِم الرب صعوبة الأمر على ذهن اليهودي وأعطاه كيفية الميلاد من فـوق، ولكن والإنسان هنا على الأرض، فقال له: «الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يُولَد من الماء والروح لا يقدر أن يدخـل ملكـوت الله» (يـو ٣:٥). ولكـي يقطع المسيح خط الرجعـة علـى تفكـير نيقوديمـوس حتـى لا يفكّـر في إمكانيـة

الولادة الثانية من الجسد، قال له: «المولود من الجسد جسدٌ هو، والمولود من الروح هو روحٌ» (يو ٣:٦)، بمعنى أن الميلاد الثاني هو ميلاد روحاني ولا يمتُّ للجسد بصلة.

ولكي يرفع التعجُّب من فكر نيقوديموس، قال له: «لا تتعجَّب أني قلتُ لك: ينبغي أن تُولَدوا من فوق. الريح تَهُبُّ حيث تشاء، وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب.» (يو ٣:٧و٨)

يقصد المسيح بذلك أمراً هاماً وخطيراً، وهو أن الميلاد الثاني من فوق، الذي يكون من الماء والروح، أي المعمودية، هو عمل فوقاني يتم فيه ميلاد الإنسان ثانية بالروح على الأرض، إنما بسرٍّ فائق لا يستطيع الفكر أن يتتبَّعه.

إلى هنا يكون نيقوديموس قد سمع تفسير الميلاد الثاني من فوق وهو يتم على الأرض بالماء والروح، ولكن بسرٍّ لا يُنطق به.

ويهمنا هنا أن نشرح للقارئ بأكثر مما شرحنا، أن موضوع الميلاد الثاني للإنسان من فوق هو الموضوع الأساسي الذي جاء المسيح ليُتمِّمه للإنسان في نفسه أولاً، وقد تمَّمه أولاً باتحاده بجسدنا الذي أخذه من العذراء القديسة مريم ومن الروح القدس ليضمن مسيرتنا معه من البداية حتى النهاية، وبميلاد جديد روحاني من فوق هتفت له الملائكة يوم تمَّ مهلِّلة بالمجد لله في الأعالي والسلام على الأرض. بمعنى أن بهذا الميلاد تمَّ بالفعل مجد الله، وسلام الإنسان، ومسرة بعد عداوة وأحزان، ملأت كل الدهور السالفة. فكان ميلاد المسيح ونحن فيه، أول صورة للإنسان الجديد المولود من فوق.

وإذا سِرنا مع المسيح في حياته، ونحن معه، حتى مماته وقيامته من بين الأموات، نراه أول إنسان جديد يقوم من موت اللعنة الأبدي الذي حلّ على آدم وذريته. فكانت قيامة المسيح أول صورة للخليقة الروحية الجديدة للإنسان.

ودعاه القديس بولس "بكر الأموات"، باعتباره المولود الأول للإنسان القائم من بين الأمـوات، ونحـن معـه قمنـا بقيامتـه ليُقدِّمنـا إلى الله أبيـه كخليقـة جديـدة للإنسان.

ثـم بصعـود المسـيح إلى أعلـى السـموات وجلوسـه عـن يمـين الآب بجسـده الروحاني المُقام ونحن فيه، يكون هو أول مَنْ افتتح ملكوت الله ودخــل، ومعـه البشرية الجديدة المُفدَّاة.

من هذا يتبيَّن لك، أيها القارئ العزيز، أن خلقة الإنسان الجديـد أو ميـلاده الثاني من فوق أو من الماء والروح، هي شُـغْل الآب الشـاغل الـذي اختارنـا في المسيح قبل تأسيس العالم منذ الأزل، وهي مضمون النبوَّات قبل المسـيح، وهـي المسيح، وهي الإنجيل، وهي ملكوت الله.

وإن أردتَ مزيداً من تفسير، اقرأ كتاب: "الخلقة الجديـدة"، بجزئيه.

(١٩٩٩)

الخليقة الجديدة
"في المسيح"

+ «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة.» (٢كو ٥:١٧)

هذه ليست مقالة تُقرأ في ساعة، ولكن بيان عقيدة مسيحية، تقوم عليها حقيقة الخلقة الجديدة للإنسان، بموت المسيح وقيامته، أي أن الإنسان في المسيحية: هو خليقة جديدة روحانية تعدُّه للحياة الأخرى الأبدية في ملكوت الله.

وهذا البيان يجمع كل ما يخص هذه الخلقة الجديدة الروحانية، ليس لكي يفهمها القارئ؛ بل ليستوعبها جيداً لتستقر حقيقتها في أعماقه، لأنها هي حياته بطولها وعرضها وعمقها وارتفاعها، وضعناها للقارئ المتعطِّش لتغيير حياته واكتشاف حقيقة ما قاله بولس الرسول: «فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل ٢: ٢٠)

هذا سنوضِّحه في نهاية هذا البيان.

الخليقة الجديدة ترادف وجودنا في المسيح، ووجود المسيح فينا. فالإنسان الجديد هو المسيح فينا أو هو نحن في المسيح. والآن ما هي النتائج المتعدِّدة الأوجه المترتبة على وجود المسيح فينا، ووجودنا في المسيح؟

١ ـ لأننا "في المسيح" فنحن شركاء آلامه:

+ «بل كما اشتركتم في آلام المسيح، افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين.» (١بط ٤:١٣)
+ «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً.» (٢كو ١:٥)
+ «إن كنَّا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه.» (رو ٨:١٧)

٢ ـ ولأننا "في المسيح" فنحن شركاء موته أيضاً:

+ «إن كان واحدٌ قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا.» (٢كو ٥:١٤)
+ «فإن كنَّا قد مُتنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه.» (رو ٦:٨)
+ «لأنه إن كنَّا قد صرنا متَّحدين معه بِشِبْه موته، نصير أيضاً بقيامته.» (رو ٦:٥)
+ «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِب معه ليُبْطَل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية.» (رو ٦:٦)
+ «لكي يذوق بنعمة الله الموت من أجل كل واحد.» (عب ٢:٩)
+ «ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتم (الأمم) الذين كنتم قبلاً بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح... **لكي يخلق الاثنين** (الأمم واليهود) **في نفسه** إنساناً واحداً جديداً، صانعاً سلاماً، ويُصالِح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب.» (أف ٢:١٣و١٥و١٦)
+ «حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع، لكي تُظْهَر حياة يسوع أيضاً في جسدنا.» (٢كو ٤:١٠)

٣ ـ ولأننا "في المسيح" فنحن شركاء قيامته:

+ «لأنه إن كنَّا قد صرنا متَّحدين معه بشِبْه موته، نصير أيضاً بقيامته.»

(رو ٦: ٥)

+ «ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح.» (أف ٢: ٥)
+ «وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع.» (أف ٢: ٦)

بهذا يكون المسيح قد أكمل شهوة نفسه، إذ ضمن اتحاد المؤمنين بجسده وقبولهم معه الموت، ثم اجتيازهم معه القيامة التي قاموها وهم مبرَّأون من الخطية والموت، وأصبح لهم نصيبٌ في الجلوس معه عن يمين ا لله.

٤ ـ وإن كنّا "في المسيح" وجُزْنا معه الموت، فما هي نتيجة ذلك؟

+ «... أن إنساننا العتيق قد صُلِب معه ليُبْطَل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً (ثانية) للخطية.» (رو ٦: ٦)
+ «لأن الذي مات قد تبرَّأ من الخطية.» (رو ٦: ٧)
+ «كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا.» (رو ٦: ١١)
+ «فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو ٦: ١٤)
+ «وإذ أُعْتِقْتُم من الخطية صرتم عبيداً للبر.» (رو ٦: ١٨)
+ «أما الآن فقد تحرَّرنا من الناموس، إذ مات (الجسد العتيق على الصليب مع المسيح) الذي كُنّا مُمْسكين فيه، حتى نعبد بجِدَّة الروح لا بعِتْق الحرف.» (رو ٧: ٦)
+ «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يُقدِّسها، مُطهِّراً إيَّاها بغسل الماء بالكلمة.» (أف ٥: ٢٥و٢٦)

وإن كنّا قد شاركنا "في المسيح" موته، فقد أخذنا منه الحياة (أولاً):

+ «وَعْد الحياة التي في يسوع المسيح.» (٢تي ١:١)
+ «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل ٢ :٢٠)
+ «أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به.» (١يو ٤ :٩)
+ «ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا.» (رو ٦ :١١)
+ «لكي تُظْهَر حياة يسوع أيضاً في جسدنا.» (٢كو ٤ :١٠)
+ «ونحن مُصالحون نَخْلُص بحياته.» (رو ٥ :١٠)
+ «وحياتكم مستترة مع المسيح في الله.» (كو ٣:٢)
+ «هكذا ببرٍّ واحد صارت الهبة إلى جميع الناس، لتبرير الحياة.» (رو ١٨:٥)
+ «ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.» (رو ٨:٢)
+ «لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح.» (في ١ :٢١)
+ «وهذه الحياة هي في ابنه.» (١يو ٥ :١١)
+ «مَنْ له الابن فله الحياة.» (١يو ٥ :١٢)
+ «كما ملكت الخطية في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر، للحياة الأبدية، بيسوع المسيح ربنا.» (رو ٥ :٢١)
+ «سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح.» (رو ١٧:٥)

وأخذنا (ثانياً) الخلاص الموضوع لنا في المسيح منذ الأزل مجاناً:

+ «فبالأَوْلَى كثيراً ونحن متبرِّرون الآن بدمه نَخلُص به من الغضب.» (رو ٩:٥)
+ «لأنه إن كُنّا ونحن أعداء قد صُولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأَوْلَى كثيراً ونحن مُصالحون نَخلُص بحياته.» (رو ٥ :١٠)

+ «لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل، وبه الكل، وهو آتٍ بأبناءٍ كثيرين إلى المجد أن يُكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام.» (عب ٢:١٠)
+ «هكذا المسيح أيضاً، بعد ما قُدِّم مرَّة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانيةً بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه.» (عب ٩:٢٨)
+ «ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مُخلَّصون.» (أف ٢:٥)
+ «مع كونه ابناً تعلَّم الطاعة مِمَّا تألَّم به. وإذ كُمِّلَ صار لجميع الذين يُطيعونه سبب خلاص أبدي.» (عب ٥:٨و٩)
+ «الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدَّسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية.» (٢تي ١:٩)
+ «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغُسْل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغِنَى علينا بيسوع المسيح مخلِّصنا.» (تي ٣:٥و٦)
+ «مِنْ ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم.» (عب ٧:٢٥)
+ «كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة، وهو مخلِّص الجسد.» (أف ٥:٢٣)

٥ ـ وإن كنَّا "في المسيح" وقد جُزْنا القيامة معه، فما هي نتيجة ذلك؟

+ «وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. مَنْ له الابن فله الحياة، ومَنْ ليس له ابن الله فليست له الحياة.» (١يو ٥:١١و١٢)
+ «وَلَدَنا ثانية لرجاء حيٍّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات.» (١بط ١:٣)

+ «أبطل الموت (بموته)، وأنار الحياة والخلود (بقيامته).» (٢تي ١ : ١٠)
+ «أحياكم معه مُسامحاً لكم بجميع الخطايا.» (كو ٢ :١٣)
+ «أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويَّات... وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكلَّ في الكلِّ.» (أف ١ :٢٠و٢٢و٢٣)
+ «وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويَّات في المسيح يسوع، لِيُظهِرَ في الدهور الآتية غِنَى نعمته الفائق، باللطف علينا في المسيح يسوع، لأنكم بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان... لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح...» (أف ٢ :٦و٧و٨و١٠)

وهكذا لم تكمل مسرة الآب، ولم يكمل عمل المسيح حسب مسرة الآب، إلاَّ بعد أن ضمن أن تجلس الخليقة الجديدة معه في السموات وعن يمين الآب. وبهذا كمل الوعد الذي رسمه الآب في الأزل وأكمله المسيح في نهاية اكتمال الزمن، لنكون مباركين بكل بركة روحية في السماويَّات في المسيح، وقد عيَّننا الله للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته (أف ١ :٣-٥).

وإن كنَّا قد شاركنا المسيح في قيامته، فقد أخذنا منه البر:

لأن المسيح اكتسب لنا البرَّ بطاعته للآب حتى الموت موت الصليب. لذلك رفَّعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم (في ٢ :٨و٩).

+ «مع كونه ابناً تعلَّم الطاعة مِمَّا تألَّم به. وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه، سبب خلاص أبدي.» (عب ٥ :٨و٩)
+ «لأنه إن كان بخطيةِ الواحد (آدم) قد مَلَكَ الموت بالواحد، فبالأَوْلَى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح.» (رو ٥ :١٧)

+ «فإذاً كما بخطيةٍ واحدةٍ (العصيان) صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببرٍّ واحد صارت الهبة إلى جميع الناس، لتبرير الحياة.» (رو ٥:١٨)
+ «لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد (آدم) جُعِلَ الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً.» (رو ٥:١٩)
+ «حتى كما مَلَكَت الخطية في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر، للحياة الأبدية، بيسوع المسيح ربنا.» (رو ٥:٢١)
+ «متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفَّارة بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله. لإظهار برِّه في الزمان الحاضر، ليكون بارًّا ويُبرِّر مَنْ هو من الإيمان بيسوع.» (رو ٣:٢٤-٢٦)
+ «ونحن متبرِّرون الآن بدمه نخلُص به من الغضب.» (رو ٥:٩)
+ «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.» (أف ٤:٢٤)

بلوغ الإنسان "في المسيح" حالة شركة مع المسيح:

إن كنّا - كما رأينا - قد متنا مع المسيح وقمنا مع المسيح وجلسنا مع المسيح في جسده المُقام في السماويَّات، ألاَ تكون هذه حالة شركة مع المسيح؟

+ «وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١:٣و٤)
+ «الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا.» (١يو ١:٣)
+ «أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا.» (١كو ١:٩)

+ «لأننا قد صرنا شركاء المسيح، إنْ تمسَّكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهايـة.» (عب ٣: ١٤)
+ «أنه بإعلان عرَّفني بالسر... أن الأمم شركاء في الميراث والجسـد ونـوال موعده في المسيح بالإنجيل.» (أف ٣: ٣و٦)
+ «قـد وَهَـبَ لنـا المواعيـد العُظمـى والثمينـة (ليسـت أرضيـة تفيـض لبنـاً وعسلاً)، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية.» (٢بط ١: ٤)
+ «كأس البركة التي نُباركها، أليست هي شـركة دم المسيح؟ الخـبز الـذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟» (١كو ١٠: ١٦)

بلوغ الإنسان "في المسيح" حالة الجسد الواحد:

إن كانت شركتنا في المسيح وسعتها الموت والحيـاة والقيامـة والجلـوس عـن يمين الآب، أليس هذا معناه أننا قد بلغنا فعلاً الجسد الواحد في المسيح؟

أ ـ «هكذا نحن الكثيرين: جسدٌ واحدٌ في المسيح، وأعضاء بعضاً لبعض، كل واحد للآخر.» (رو ١٢: ٥)

ب ـ «لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد (وصحتهـا في اليونانية: في جسدٍ واحد)، يهوداً كنَّا أم يونـانيين، عبيـداً أم أحـراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (١كو ١٢: ١٣)

الآيتان أ وب يُقابلان في كلام المسيح:

أ ـ «أنا حيٌّ **فأنتم ستحيون**. في ذلـك اليـوم تعلمـون أنـي أنـا في أبـي، وأنتم فيَّ، وأنا فيكم.» (يو ١٤: ١٩و٢٠)

ب ـ «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا **مكمَّلين إلى واحد**.» (يو ١٧: ٢٣)

بهاتين الآيتين أ وب يشير المسيح إشارة قوية للتعبير عن: أ = **الحياة** فيه وفي الآب، ب = **الوحدة** فيه وفي الآب. وهذا نفسه ما أشار إليـه بولـس الرسـول:

ففي الآية (أ): صار "الكثيرون" واحداً في المسيح، والآيـة (**ب**): "اعتمدنـا في جسد واحد، وسُقينا روحاً واحداً" للحياة في المسيح.

+ «لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥: ٣٠)
+ «ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح.» (١كو ٦: ١٥)
+ «وأما أنتم فجسد المسيح، وأعضاؤه أفراداً.» (١كو ١٢: ٢٧)
+ «صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليُحضركـم قدِّيسـين وبـلا لـوم ولا شكوى أمامه.» (كو ١: ٢١و٢٢)

وإن كنّا "في المسيح" جسداً واحداً، أليس هذا معناه أننا صرنا هيكلاً للرب:

كان في القديم إذا اجتمع الشعب في الهيكل الحجري يحلُّ الله فيه، فإن كان المسيح هكذا قد حلَّ فينا ألاَ يكون هذا هيكلاً روحياً للآب غير مصنوع بيدٍ؟

+ «فإنكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله: إنـي سأسـكن فيهـم وأسـير بينهم، وأكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً.» (٢كو ٦: ١٦)
+ «أمَا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم.» (١كو ٣: ١٦)
+ «الذي فيه كل البناء مُركَّباً معاً، ينمو هيكلاً مقدَّساً في الرب. الذي فيـه أنتم أيضاً مبنيون معاً، مسكناً لله في الروح.» (أف ٢: ٢١و٢٢)
+ «كونوا أنتم أيضاً مبنيِّين كحجـارة حيَّـة بيتـاً روحيـاً، كهنوتـاً مُقدَّسـاً، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح.» (١بط ٢: ٥)
+ «لأن هيكل الله مقدَّس الذي أنتم هو.» (١كو ٣: ١٧)
+ «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكـل للـروح القـدس الـذي فيكـم، الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم.» (١كو ٦: ١٩)
+ «متأصِّلين ومبنيين فيه.» (كو ٢: ٧)
+ «مبنيِّـين علـى أسـاس الرسـل والأنبيـاء، ويسـوع المسيح نفسـه حجـر الزاوية.» (أف ٢: ٢٠)

والمسيح كان هو الذي نبَّه قلوبنا، كوننا فيه هيكلاً روحياً حينما قال:

+ «انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أُقيمه... وأما هـو فكـان يقـول عـن هيكل جسده.» (يو ٢:١٩و٢١)

الارتقاء بالخليقة الجديدة "في المسيح": الكنيسة، ونحن أعضاء جسمه:

رأيناها في المسيح جسداً واحداً، ورأيناها فيه هيكلاً مقدَّساً للرب. ولكن بولس الرسول اعتماداً على نبوَّات كثيرة رآها أيضـاً عـذراء عفيفـة (٢كـو ١١:٢)، كمـا رآها عروسـاً (أف ٥:٢٥-٢٧)، ووافقـه القديـس يوحنـا في سـفر الرؤيـا إذ رآهـا عروس وامرأة الخروف: «وتكلَّم معي قائلاً: هلمَّ فأُريك العـروس امـرأة الخـروف» (رؤ ٢١:٩). ولكن العجيب حقاً أنه عاد فرآها «أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله، لها مجد الله... وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر... ولم أرَ فيهـا هيكلاً، لأن الرب الله القادر علـى كـل شـيء، هـو والخـروف هيكلهـا... وتمشـي شعوب المُخلَّصين بنورها.» (رؤ ٢١:١٠-٢٤)

وفهمنا أنها الكنيسة، جسد المسيح، الخليقة الجديدة، الإنسان الجديـد معـاً. ويصف القديس بولس كيف قدَّسها المسيح وأخذها لنفسه، كما يـأخذ الرجـل امرأته ليتَّحد بها:

+ «لأن الرجل هو رأس المـرأة كمـا أن المسـيح أيضـاً رأس الكنيسـة، وهـو مخلِّص الجسد.

... كما تخضع الكنيسة للمسيح...

كما أحبَّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها،

لكي يُقدِّسها مطهراً إيَّاها بغسل الماء بالكلمة،

لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيـدة، لا دنـس فيهـا ولا غَضْـنَ (تجـاعيد الشيخوخة)

أو شيء من مثل ذلك،

بل تكون مُقدَّسة وبلا عيب!» (أف ٥: ٢٣-٢٧)

هنا الغسل كان بالماء والدم، دم الكلمة الخارج من جسد المسيح المصلوب بشهادة يوحنا الرسول:

+ «لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دمٌ وماءٌ. والذي عاين شهد، وشهادته حقٌّ، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم.» (يو ١٩: ٣٤و٣٥)

وهذه هي ذخيرة الكنيسة: الماء للمعمودية، والدم للإفخارستيا. هنا غسل الماء ودم الكلمة، يقول القديس بولس إنه للتقديس ورفع الشوائب جميعاً لتصبح الكنيسة عروساً مجيدة تصلح للاتحاد بالمسيح؛ وصار هو عريسنا وصرنا نحن عروسه «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه»، ويعود ويشير بالسرِّ: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السرُّ عظيمٌ، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة» (أف ٥: ٣١و٣٢). وهكذا بالمفهوم المستيكي صار المسيح عريس دم للكنيسة التي هي جسده، الذي هو نحن!!!

هذه الوحدة الفائقة السرِّيَّة التي كملت بين الخليقة الجديدة والمسيح، حينما مُسِحَت بدمه وهي معه على الصليب، أكملت ما اشتهاه المسيح قبل أن يتألَّم وعبَّر عنه في صلاته الأخيرة: «كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.» (يو ١٧: ٢١)

ولكن ما معنى أن المسيح يحيا فيَّ، وهي خلاصة هذا البيان؟

معناه واضح، وهو أنني متُّ حقًّا، متُّ كعقوبة آدم وبنيه العامة، التي تحمَّلها المسيح بالجسد. وهنا الجسد الذي أخذه المسيح بالتجسُّد هو جسدي أنا وجسدك أنت، جسد البشرية، أخذه من العذراء ومن الروح القدس، أي بدون

رجلٍ، أي بدون بذرة آدم، أي بدون خطية؛ ولكن لَمَّا حاكمه اليهود بمساعدة بيلاطس الحاكم الروماني ونسبوا إليه جميع الخطايا، فلم يُدافع عن نفسه بل سَكَتَ، فحُسِبَتْ عليه جميع الخطايا وحكموا عليه بالصَّلْب وهي أشد عقوبة للموت لا تُجرَى إلاَّ على الذين جدَّفوا على الله، إذ يُحسَب في الناموس اليهودي أنه ملعون ويتحتَّم قتله صلباً، فَقَبِلَ كل هذا وصُلِب ومات.

ولكن الجسد الذي وُضِعَ عليه كل الخطايا - كما قلنا - هو جسد البشرية، جسدي وجسدك. فهكذا مات ومتنا معه لأننا شركاء معه في هذا الجسد. ولَمَّا قام من بين الأموات حُسِبنا نحن أيضاً أننا قمنا معه بروح القيامة، أي بروح الجسد الجديد الذي دفع ثمن كل الخطايا بعقوبة الموت وهو روح الحياة الجديدة الأبدية، أخذناه في جسد المسيح، جسد القيامة. أي أننا صرنا بخليقتنا الجديدة هذه، الجسد الجديد للإنسان الجديد الذي اعتُبِر خليقة روحية جديدة في المسيح وصار المسيح فينا، وحياتنا أصبحت هي حياة المسيح فقط لأننا مُتنا بموت المسيح، أي أننا لا نحيا الآن في خليقتنا العتيقة بل في خليقتنا الجديدة والمسيح يحيا فينا. هذه الحقيقة هي تاج المسيحية.

ولكننا لا زلنا نعيش الآن في جسد يحيا ويتحرَّك، فما هذا الأمر؟

الحياة التي نحياها الآن هي في الجسد الزائل لزمنٍ زائلٍ، الذي يُعتبر في حُكْم الفناء، وهو الجسد العتيق الذي حُكم عليه بالموت مع المسيح ثمناً لخطاياه (أي خطايا الجسد العتيق). فهو جسد محكوم عليه بالموت الأبدي أي حُكْم الفناء مثل العالم الذي هو منه. فهو معدوم القيمة بحياتنا فيه(١).

ولكن المسيح لا يحيا في جسدنا الميت، هذه استحالة، ولكنه يحيا في جسدنا

---

(١) كجوهرة روحية سماوية في غلاف من طين، الغلاف سيقع حتماً في الأرض ويفنى، والجوهرة الروحية السماوية تطير إلى موطنها السماوي.

الروحي الذي قام معه، الجسد الجديد المحسوب أنه خليقة روحانية جديدة. ونؤكِّد أن هذا الجسد الجديد هو خليقة روحانية، وأنه جسد روحاني لا يُرى بالعين ولا يُحسّ، ولكنه قائم في المسيح مُخْفَى فيه، والمسيح قائم في المجد ومُخْفَى عن عيوننا. اسمع ما يقوله بولس الرسول عن هذا الجسد الجديد:

+ «لأنكم قد مُتّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظْهِرَ المسيح حياتنا، فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣:٣و٤)

إذن، كيف نتعرَّف على جسدنا الجديد، بل بالحري: كيف نتعرَّف على المسيح الذي فينا؟

هذا ما كان يشغل بال بولس الرسول جداً، اسمعه يقول:

+ «بسبب هذا أحني رُكبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح، الذي منه تُسمَّى كل عشيرة في السموات وعلى الأرض. **لكي يُعطيكم بحسب غِنَى مجده، أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن** (الإنسان الجديد)، **ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم...**» (أف ٣:١٤-١٧)

هذه الآية هي تاج اللاهوت عند القديس بولس.

فتماماً كما كان التلاميذ محتاجين إلى الروح القدس لكي ينطلقوا للتبشير: «لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً» (أع ١:٨)؛ هكذا نحن قد رأى بولس الرسول أنه يلزم **أن نتأيَّد بالقوة بالروح في الإنسان الباطن، أي في الإنسان الجديد المُخْفَى فينا، ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبنا.**

إذن، ما نحتاجه لكي نتعرَّف على المسيح الذي فينا، هو أن نتأيَّد بقوة روحية توهَب لنا من غِنَى مجد الله الآب، لكي يشتعل إيماننا بالروح ويحس بحلول المسيح في القلب، ليس القلب اللحمي بل القلب الذي ينبض بكلمة الله.

لماذا هذا الاهتمام البالغ بالإحساس بحلول المسيح في القلب؟

لأن هذا هو سر امتلاك الخلاص. كيف؟

أن تسكن فينا كلمة الله بغِنَى، التي على أساسها وفيها يعمل الروح القدس ويُمهِّد لحلول المسيح بالإيمان، كيف؟

بالصلاة الحارة، والتعلُّق الشديد بالرب يسوع، والدموع وسهر الليالي:

+ «فكم بالحري الآب الذي من السماء، يُعطي الروح القدس للذين يسألونه.» (لو ١١:١٣)

(١٩٩٩)

الخطية والناموس والفداء
والإنسان الجديد والسر المكتوم

الطبيعة البشرية الترابية خليقة مادية ساقطة تتّصف بالسالبية. والسالبية في الطبيعة الترابية تقوم على أساس العدمية بالنهاية، أي الموت والفناء، لأنها طبيعة مخلوقة سقطت خارج الله الثابت وحده والدائم الأبدي. وهي وإن كانت تستمد وجودها من الله، لكنها أخفقت في أن تعيش تحت طاعته فأخرجها الله من حضرته وسلّمها لبلاء الزمن.

وصفات السالبية تقوم على أساس التعدّي لتحيا، فلكي تعيش يلزمها أن تتغذّى، والتعدّي يعتمد على القوة الغضبية التي تظهر في الافتراس. فالإنسان يفترس الثور والخروف والحمامة ليأكلها، ويفترس السمكة أيضاً ليأكلها، بل ويفترس النبات ليأكله ليتغذّى وإلاّ يموت وينتهي إلى العدم.

والافتراس هو تعدّي حياة على حياة أخرى، أي أن السالبية لا تعيش إلاّ بالقتل. ويشمل التعدّي كل المناقص الأخلاقية من خيانة وتربُّص ومخاتلة وسرقة وكذب وقتل.

✠ ✠ ✠

أول علاج قدّمه الله للطبيعة البشرية الساقطة لضبط السالبية فيها هو الناموس الذي رتّبه الله مع موسى، وهو القانون الأخلاقي ليرتقي بالإنسان ليحدَّ من سالبيته ويقرِّبه نحوه إن أطاع.

والناموس طبيعته روحية، ويقوم على العدل، وغاية أعمال الناموس في مقاصد الله هي توعية الإنسان والكشف عن الأعمال السالبية: «بالناموس معرفة الخطية» (رو ٧: ٢٠)، «بل لم أعرف الخطية إلاّ بالناموس» (رو ٧: ٧). وهكذا بالناموس دخل القانون الروحي حياة الإنسان ليكشف مدى سالبيته ويضبطها.

ويقول عنها بولس الرسول: «الناموس روحي، وأما أنا فجسديٌّ مَبيعٌ تحت الخطية» (رو ٧: ١٤). وهذا يعتبر أقصى حالة إذلال للإنسان حينما يُستعبد للخطية، وذلك بسبب بُعده المباشر عن الله الذي هو القوة الإيجابية العظمى.

والسالبية هنا داهمت الإنسان من جراء انجذابه لقوى أخرى سالبية وهو الشيطان، حينما أطاعه وأكل من الشجرة التي حرَّمه الله أن يأكل منها. لذلك يقول بولس الرسول: «لأني لست أعرف ما أنا أفعله (الخطية)، إذ لست أفعل ما أُريده، بل ما أُبغضه فإيَّاه أفعل» (رو ٣: ١٥). وهذا تعبير مرير لخضوع الإرادة لإيحاء الشيطان وسطوته.

هنا الناموس فضح الأعمال السلبية أي الخطية التي للطبيعة البشرية الترابية والإرادة المنحرفة معها، ولم يفضحها وحسب؛ بل وضعها تحت حكم العدل، فكل تعدٍّ صارت له عقوبة أو موت.

وبذلك يكون الناموس قد أكمل العمل الذي وضعه الله له، أي الحكم على الأعمال السلبية أنها في نظر الله، بحسب عدل الناموس، خاطئة جداً ويتحتّم أن يدرك الإنسان ذلك. ولكن الحكم على الخطية أنها خاطئة جداً بالناموس في نظر الله هو تحصيل حاصل أنها تستحق الموت. وهكذا أقنع الله الإنسانَ أن الموت الذي يموته هو عقاب عادل. وهذا يعني أن الطبيعة التي اتّسمت بالسالبية ينبغي أن لا تعيش.

وهكذا وقف الناموس يُنادي بحتمية تغيير الطبيعة البشرية الترابية. كما ويشير إشارة سرِّية بليغة بحتمية خلقة جديدة للإنسان تخلو نهائياً من السالبية أي الخطية حتى يتوفَّر لها البقاء والحياة أمام ا لله.

وهكذا انتهى الناموس إلى نقطة حرجة جداً وهي: لكي نتخلَّص من الخطية يتحتَّم تغيير الطبيعة البشرية الترابية من الأساس لأنها واقعة بطبيعتها تحت عقوبة الموت. الأمر الذي صرخ منه بولس الرسول حينما أدرك هذه الحقيقة: «ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يُحارِب ناموس ذهني، ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي. وَيْحِي أنا الإنسان الشقي! مَنْ يُنقذني من جسد هذا الموت؟» (رو ٧: ٢٣و٢٤). هنا صرخة بولس الرسول ليست من أجل الخطية، بل من "**جسد هذا الموت**" أي الطبيعة البشرية السالبة. وهنا بولس الرسول يتطلَّع ليس للخلاص من الخطية بل الخلاص من "جسد الموت" أي الطبيعة الخاطئة، وإلى جسد آخر أي طبيعة أخرى لا تعمل فيها الخطية.

ولكن من سياق أنين بولس الرسول نجد أنه لا يشتكي فقط من الجسد الخاطئ المحكوم عليه بالموت، الذي سمَّاه جسد الموت، بل وأيضاً من انحياز إرادته وراء الجسد الخاطئ إذ يقول: «لستُ أفعل ما أُريده، بل ما أُبغضه فإيَّاه أفعل» (رو ٧: ١٥). إذن، ليس الجسد وحده، بل ومعه الذات البشرية التي تربَّت مع الجسد وآخت سلبيته وشاركته في عمل الخطية، بل وصارت الذات البشرية ضليعة في صفات التعدِّي ومناقص القوة الغضبية وتنفيذ كل مخطَّطاتها. وهكذا هو يصرخ من جسد هذا الموت، ومن إرادة الذات المشتركة معه في كل تعدٍّ.

هنا الفصل واضح بين السالبية، أي عمل الخطية كفعل، وبين الطبيعة البشرية الساقطة ومعها الذات البشرية المسئولة. فالتركيز الذي يسلِّط عليه

القديس بولس في طلب الإنقاذ ليس الخطية، بل أنا والطبيعة التي فيَّ: «مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت»؟ ولكن صرخة بولس الرسول ليست جديدة على الله، بل كانت معروفة لديه هناك في الأزمنة الأزلية وقبل تأسيس العالم، حينما شرع الله في خلقة الإنسان فجعل هذه الخلقة في نهايتها أي في كمال نضوجها بمنأى عن شكوى بولس الرسول هذه، حينما جعل أساس الخلقة أن تكون متّحدة بطبيعة فائقة منزَّهة عن السالبية والخطية، طبيعة ابنه الكلمة المتجسِّد، متخطِّية مناقص الخلقة الترابية الأولى. وهذا استطاع بولس الرسول نفسه أن يكتشف أصوله الأولى في السرِّ المكتوم فيقول: «إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرَّة مشيئته» (أف ١:٥). كما اكتشف أن اختيارنا كان من البدء منذ الأزل وهو في المسيح أيضاً: «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قدِّيسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة» (أف ١:٤). فصورة خلقة الإنسان في ذهن الله منذ الأزل هي أن يكون قدِّيساً أي بلا أدنى شائبة خطية؛ وبلا لوم، أي بمنأى عن أي انحراف وفي حالة محبة كرباط من الله.

وهكذا كان اختيار خلقتنا بالأساس أن تكون طبيعتنا متّحدة بالمسيح على أساس الفداء المرصود قبل الزمن وقبل الخليقة الترابية كما لمحها بطرس الرسول بشفافيته الرائعة في قوله: «عالمين أنكم افتُديتم... بدم كريم، كما من حَمَلٍ بلا عيب ولا دنس، **دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم**، ولكن قد أُظْهِرَ في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١بط ١:١٨-٢٠). فالفداء واقع أزلي في تدبير الله.

لذلك واضح جداً أن كل ما حدث للخليقة الأولى الترابية من مناقص كان واقعاً تحت خط الفداء الذي وُضِعت خطوطه قبل الخليقة الترابية نفسها. فبمجرد أن سقط آدم، دخل هو وذريته تحت العد التنازلي لظهور الفادي في ملء الأيام.

لذلك حرصت الأناجيل أن تضع خيطاً سرِّيًا يربط بين المسيح وآدم، كما صنع القديس لوقا في إنجيله، فهو لم يتتبَّع المسيح حتى آدم إلاَّ لكي يكشف تحقيق الفداء لوعد الله بمَنْ سيسحق رأس الحية. كذلك القديس متى نجده يربط بين المسيح وإبراهيم أول مَنْ أخذ الوعد من ذرية آدم بمجيء النسل الذي تتبارك به كل ذرية آدم! وهذا أيضاً ليس جزافاً، بل لكي يربط بين الوعد بالبركة وبين الفداء الذي ستتم فيه كل بركات الله لكل الأمم كوعد الله لإبراهيم.

أما المسيح فقد كشف عن الفداء الذي وضع خطته الأولى منذ الأزل مع الآب يوم أن ارتفع على الصليب ليُكمِّل الفداء بذبيحة نفسه. أما أول تصوير للفداء قاطبة، فكان على فم الله في مخاطبة الإنسان الساقط عن نسل يأتي يسحق رأس الحية: «هو يسحق رأسكِ، وأنت تسحقين عقبه» (تك ٣: ١٥). وقد تمَّ على الصليب بأن سحق المسيحُ الشيطانَ، وإن كان الثمن سَحْق العقب كناية عن موتَ الجسد.

وأعجب ما يُقال هو إن هذا الفداء الذي احتوى الإنسان وهو في أردأ حالاته كان مجاناً، إذ لم يطلب الله من الإنسان الساقط إلاَّ الإيمان بالفداء الذي تمَّ: «متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح... بالإيمان بدمه.» (رو ٣: ٢٤و٢٥)

وبولس الرسول يحكي كيف اختاره الله ليكشف له عن سر المسيح أي سر الفداء، الأمر الذي بحسب تعبيره كان مكتوماً ومخفياً منذ الأزل، مختوماً عليه ضمن أسرار خلاص الله للإنسان قبل إنشاء العالم:

+ «لِي أنا أصغر جميع القديسين، أُعطيت هذه النعمة، أن أُبَشِّر بين الأمم بغِنَى المسيح الذي لا يُستقصَى، وأُنير الجميع في ما هو شركة السر

المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف ٣:٨و٩)

+ «الذي في أجيال أُخَر لم يُعَرَّف به بنو البشر، كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح.» (أف ٣:٥)
+ «وللقادر أن يُثبِّتكم، حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح، حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية.» (رو ١٦:٢٥)
+ «التي صرتُ أنا خادماً لها، حسب تدبير الله المُعطَى لي لأجلكم، لتتميم كلمة الله. السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أُظْهِرَ لقديسيه، الذين أراد الله أن يُعرِّفهم ما هو غِنَى مجد هذا السر في الأمم، الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد.» (كو ١:٢٥-٢٧)
+ «نتكلَّم بحكمة الله في سرٍّ: الحكمة المكتومة، التي سبق الله فعيَّنها قبل الدهور لمجدنا.» (١كو ٢:٧)

وهكذا في استعلان جريء واضح قدَّم لنا القديس بولس من مواهب الله عليه مفردات هذا السر الذي كان مكتوماً في الأزلية، مرافقاً لتدبير الله في خلقة الإنسان وسَبْق علمه بالسقوط الذي ستعانيه الخلقة الترابية، وكيفية المعالجة **بالفداء والارتقاء بالطبيعة البشرية** لتحتل مركز البنوية لدى الله، وترث مع المسيح ما لله! وقد سمَّاه بولس الرسول: «غِنَى المسيح الذي لا يُستقصَى» (أف ٣:٨)، بمنح الشركة فيه والذي عبَّر عنه أنه «المسيح فيكم رجاء المجد.» (كو ١:٢٧)

وبتعبير آخر يكشف بولس الرسول عن عدم اعتماد الله على أي قدرات للإنسان في تدبير خلاصه ودعوته: «الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية» (٢تي ١:٩). على أن قصد الله في منحنا دعوة مقدسة

لقبول خلاص مذهل بمجاني، انكشف تماماً عندما بذل ابنه على الصليب ليخلّص كل مَنْ يؤمن به: «وإنما أُظهِرَت الآن (مقاصد الله ونعمته) بظهور مخلّصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت (أي ألغى كل مناقص الخليقة الترابية الأولى) وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (أي منح الحياة الأبدية والخلود للإنسان الجديد)» (٢تي ١:١٠). وهكذا انكشف السر المكتوم منذ الأزل بإعطاء الإنسان الحياة الأبدية والخلود!

إذن، فصراخ بولس الرسول: «مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت»، كان مسموعاً ودخل في تدبير الله منذ الأزل ووُضِعَ له الحل الذي عثر عليه بولس الرسول في الحال، إذ ردَّ على نفسه: «أشكر الله بيسوع المسيح... إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع[٢].» (رو ٧:٢٥؛ ٨:١)

وهكذا أصبح صراخنا من جسد هذا الموت مرفوضاً ومحسوباً أنه إنكار وتجاهل لِمَا أكمله الله منذ الأزل وأتمّه المسيح على الصليب وأُعطِيَ لنا مجاناً، إذ لَمَّا تجسَّد ابن الله الكلمة كان القصد المباشر في تدبير الله الأزلي هو منحنا خليقة جديدة لحياة جديدة فيها الشكر والفرح وليس الأنين والشكوى. وبطرس الرسول يهتف في المقابل: «قد وَهَبَ لنا المواعيد العُظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١:٤). وقد اتفق كبار الشُّرَّاح في أن المواعيد العُظمى والثمينة هي اشتراكنا في استعلان المسيح ومجده.

ولكن نطلب أن ينتبه القارئ، إذ ليس كما فات على كثيرين من رجال الكنيسة في العصور القديمة أن التجسُّد كان مقصده الوحيد غفران الخطايا، بل كان مقصده الحقيقي كما أوضحنا هو إعطاء خليقة جديدة، ميلاد من الروح

---

(٢) آية: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، لا تعني أن الخلاص والفداء الذي تمّ كان حسب سلوك الإنسان.

عِوَض ميلاد من الجسد، يسمو بطبيعته عن مناقص الخلقة الترابية الأولى بخطاياها.

ونعيد القول والتنبيه أن التوقُّف عند غفران الخطية الذي شغل الكثيرين من رجال الكنيسة في العصور القديمة كعمل أساسي لتجسُّد المسيح يُعتبر انتقاصاً خطيراً من قصد الله الأساسي في إرسال ابنه وتجسُّده الذي كان بالأساس هو إعطاء البشرية خلقة جديدة بالروح من جسد المسيح المُقام: «ولدنا ثانية لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ١:٣)، أي إعطاء البشرية جسداً جديداً هو جسد المسيح القائم من بين الأموات: «**وأما أنتم فجسد المسيح**» (١كو ١٢:٢٧)، «وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده» (أف ١:٢٢و٢٣). وبمعنى واضح أن بخلقتنا جديداً من جسد المسيح «لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه» (أف ٥:٣٠)، نكون قد أخذنا تأميناً أبدياً من السقوط والانحراف والموت:

+ «الله الذي هو غنيٌّ في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مخلَّصون (مجاناً)، **وأقامنا معه، وأجلسنا معه** في السماويَّات في المسيح يسوع، لِيُظْهِرَ في الدهور الآتية غِنَى نعمته الفائق، باللطف علينا في المسيح يسوع.» (أف ٢:٤-٧)

ونحن هنا نحاول بكل الجهد أن نلفت نظر القارئ على التركيز في عملية التجسد التي أكملها المسيح بالقيامة من بين الأموات كأعلى مرحلة تكشَّف سرها الأعظم لتلاميذه في العليَّة، حينما أراهم يديه ورجليه قائلاً: «انظروا يديَّ ورجليَّ: إني أنا هو. جُسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما تَرَوْنَ لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه.» (لو ٢٤:٣٩و٤٠)

ما معنى هذا؟ معناه أن قيامة المسيح تمَّت بذات الجسد وذات الشخص "إني

أنا هو"، إنما بحالة فائقة تُرى أو لا تُرى حسب قوة الإيمان وانفتاح البصيرة. وهذا يعني أن قيامتنا في جسد المسيح هي قيامة روحية بجسد جديد من لحمه ومن عظامه، لأن جسده الجديد هو نحن! هو الكنيسة!! «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (كو ٣:٣)، فقيامتنا مخفية في جسد المسيح. وهذا هو منتهى قصد الله ونعمته منذ قبل تأسيس العالم: أن نأخذ خلقة روحية جديدة مقرّها السماء لا الأرض: «وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويَّات» (أف ٢:٦)، وهذا ما يستعلنه لنا بطرس الرسول في قوله: «شركاء الطبيعة الإلهية!!» (٢بط ١:٤)

لذلك نقول إن عدم التعرُّف على قصد الله من تجسُّد ابنه وما صار لنا بقيامته من بين الأموات بسبب انشغالنا الخاطئ بالتركيز على غفران الخطايا، ضيَّع علينا التمسُّك بأهم منجزات التجسُّد والفداء والقيامة من بين الأموات، وهي الخليقة الجديدة للإنسان في جسد المسيح المُقام من بين الأموات ونحن فيه؛ كما ضيَّع علينا حالة الفرح الدائم الذي وعد به المسيح عندما نكتشف وضعنا بعد قيامته من بين الأموات الذي مصدره بكل تأكيد خلقتنا الجديدة ومقرُّها الجديد في السماء: «ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦:٢٢)، «الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي، بقيامة يسوع المسيح من الأموات.» (١بط ١:٣)

ففرحتنا الأولى والعُظمى يتحتَّم أن تكون أننا صرنا خليقة جديدة بإنسان جديد يحيا قيامة المسيح ويترقَّب الوطن السمائي ورؤية المسيح: «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعِيتَ...» (١تي ٦:١٢)

(٢٠ أغسطس ١٩٩٨)

الخليقة الجديدة والأُخرويات
في المزامير والأنبياء

الخليقة الجديدة والأُخرويات في المزامير:

الأُخرويات يُقصد بها حوادث الدهر الآتـي أو مستقبل الزمـان، والحديـث فيها قديم قِدَم المزامير والأنبياء. ونقصــد نوعـاً خاصـاً مـن المزامـير، وهـي الـتي كانت تُسمَّى بمزامير "الملك"، وهي تسابيح تُقال في موسم خاص تمجيداً ليهوه، وتُسمَّى مزامير تجليسِ يهوه على عرشه. وكان هذا اليوم يُسمَّى عيـد يهـوه (لا ٢٣:٣٩و٤١)، وبه تفتتح السنة الجديدة أي رأس السنة العبريـة ويـأتي في عيـد الحصاد، وكان يُعيَّد له لثمانيـة أيـام (لا ٢٣:٣٣) في منتصـف الشـهر القمـري حيث كان مطلع المزمور:

+ «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون، ولك يُوفَى النَّذر... كلَّلتَ السنة بجُودِك وآثارُك تقطر دسماً.» (مز ٦٥:١و١١)

ومزامير تتويج الملك هذه، أغلبها كان قبل السبي، ولكن بعضها كُتـب بعـد سنة ٥٣٦ ق.م، وهي سنة الرجوع من السبي. وظلَّت تُعيِّد بها إسـرائيل حتـى في خرائب أورشليم كما يحكي إرميا النبي (مرا ٥:١٩)، لأنها كانت تحمل كل أمجاد التراث.

أما بداية التعييد بهذا العيد، فيذكرها سـفر القضـاة، وذلـك فيمـا قبـل قيـام المملكة الفردية:

+ «هوذا "عيد الرب" في شيلوه من سـنة إلى سـنة شمـالي بيـت إيـل شـرقي

الطريق الصاعدة من بيت إيل إلى شكيم.» (قض ٢١: ١٩و٢٠)

كما يذكره أيضاً صموئيل النبي:

+ «وكان هذا الرجل (ألقانة) يصعد من مدينته من سنة إلى سنة ليسجد ويذبح لرب الجنود في شيلوه.» (١صم ١: ٣)

وما يهمُّنا من مزامير التتويج ليهوه تخصُّصها في ثلاثة مواضيع على درجة كبيرة من الأهمية: **الأول**: تجديد الخليقة، **والثاني**: الخلاص، **والثالث**: مجيء يهوه.

أولاً: تجديد الخليقة:

كان تجليس يهوه على عرشه فرصة لتمجيد أعماله في الخليقة، لأنه في مفهوم إسرائيل أن يهوه أقام الخليقة من أجل إسرائيل، فهي تعتبر فرصة تجليسه السنوية تذكاراً جيداً حتى تستمر أعمال الله في تجديد هذه الخليقة من سنة إلى سنة: السماء بشمسها وقمرها ونجومها، والأرض بجبالها وبحارها وأنهارها، والأمطار لإرواء الأودية، والجبال لنمو الزراعات والفواكه التي يقتات منها الشعب. فتذكار تجديد الخليقة كان محسوباً أنه واجب تذكره أمام يهوه.

+ «تُرسِل روحك فتُخلَقُ، وتُجدِّد وجه الأرض.» (مز ١٠٤: ٣٠)
+ «لك النهار ولك أيضاً الليل. أنت هيَّأتَ النور والشمس. أنت نَصَبتَ كل تخوم الأرض، الصيف والشتاء أنت خلقتهما.» (مز ٧٤: ١٦و١٧)
+ «تعهَّدتَ الأرض وجعلتها تفيض، تُغنيها جداً. سواقي الله ملآنة ماءً. تُهيِّئ طعامهم لأنك هكذا تُعِدُّها. أَرْوِ أتلامها، مهِّد أخاديدها. بالغيوث تُحلِّلها، تُبَارِك غلَّتها. كلَّلتَ السنة بجودك وآثارك تقطر دسماً. تقطر مراعي البرية وتتنطَّق الآكام بالبهجة. اكتست المروج غنماً والأودية تتعطَّف بُرًّا، تهتف وأيضاً تُغنِّي.» (مز ٦٥: ٩-١٣)
+ «أنت متسلِّطٌ على كبرياء البحر، عند ارتفاع لُججه أنت تُسَكِّنها. انت

سحقت رَهَبَ مثل القتيل... لك السموات، لك أيضاً الأرض. المسكونة ومِلْؤها أنت أسَّستهما. الشمال والجنوب أنت خلقتهما. تابور وحرمون باسمك يهتفان.» (مز ٨٩: ٩-١٢)

+ «الأرض أعطت غلّتها، يُباركنا الله إلهنا.» (مز ٦٧: ٦)

+ «الذي بيده مقاصير الأرض وخزائن الجبال له. الذي له البحر وهو صنعه ويداه سبكتا اليابسة.» (مز ٩٥: ٤)

ويُلاحَظ أن التعييد لتجليس يهوه ملتحم بالسنة الجديدة، والسنة زراعية بموسميها: القحط والجفاف والعطش الذي يهدِّد الأرض، ثم موسم الأمطار وإحياء الطبيعة من بعد موات، ثم الزراعة والحصاد وقطف الزيتون والكروم. فالسنة يُمثِّل نصفها الأول الموت، ونصفها الثاني الحياة والنماء. فهذا ترك أثره في حياة الشعب وظلت الطقوس تخدمه بمحافل رهيبة حتى يتحنن يهوه ويجدِّد وجه الطبيعة والأرض. وهنا نركِّز ذهن القارئ:

فالتجديد الذي شمل كل مظاهر الطبيعة كخلقة جديدة تتجدَّد كل سنة برحمة يهوه في عيد جلوسه هو الذي انتهى إلى تجديد خليقة الإنسان نفسه؛ الأمر الذي تمَّ بموت المسيح خالق الخليقة، ثم بحياة المسيح حامل الخليقة الجديدة. وكان التعييد لتجديد الخليقة الطبيعية في ذِكرى جلوس يهوه السنوي هو الذي صار التعييد ليسوع المسيح لقيامته سنوياً الذي نعيِّده ونحن خليقة جديدة بالتسبيح لمجده.

هكذا خدمت الاسخاتولوجية بإشاراتها المتعددة لتجديد الخلقة الطبيعية كل سنة، مفهوم تجديد الخلقة البشرية في النهاية. فالأولى كانت تُقام في ذِكرى جلوس يهوه السنوي في عيد يهوه؛ أما الثانية وهي الخليقة الجديدة للإنسان فقد دشَّنها لنا المسيح بقيامته وجلوسه عن يمين الآب.

ثانياً: الخلاص:

كانت أيضاً فرصة تجليس يهوه على عرشه تذكاراً للخلاص الذي صنعه يهوه لشعبه، وهو خلاص متعدِّد الأشكال، سواء من العبودية في مصر أو من الملوك الأعداء أو من الظلمة وقواتها المعادية أو من الطبيعة الهائجة.

فصارت المزامير تُسبِّح للخلاص بلا هوادة، ولكن بصورة تحمل الخلاص فوق الزمن كعمل يهوه الفائق. فكان هذا بدوره يكوِّن اسخاتولوجية الخلاص الكبير كعمل آتٍ يكمِّل مفهوم الخلاص بكل صوره.

+ «يا رب **خلِّص**. ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا.» (مز ٢٠:٩)
+ «يا رب بقوَّتك يفرح المَلِك، **وبخلاصك** كيف لا يبتهج جداً.» (مز ٢١:١)
+ «لأنك أنت **خلَّصتنا** من مُضايقينا وأخزيت مبغضينا. بالله نفتخر اليوم كله، واسمك نحمد إلى الدهر.» (مز ٤٤:٧و٨)
+ «قُمْ عوناً لنا، **وافْدِنا** من أجل رحمتك.» (مز ٤٤:٢٦)
+ «ارحمني يا رب. انظر مذلَّتي من مُبغضيَّ يا رافعي من أبواب الموت. لكي أُحدِّث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون مُبتهجاً **بخلاصك**.» (مز ٩:١٣و١٤)
+ «نترنَّم **بخلاصك**، وباسم إلهنا نرفع رايتنا.» (مز ٢٠:٥)
+ «لكي يُعرف في الأرض طريقك، وفي كل الأُمم **خلاصك**.» (مز ٦٧:٢)
+ «قدَّام أفرايم وبنيامين ومنسَّى، أيقظ جبروتك **وهَلُمَّ لخلاصنا**. يا الله أَرْجعْنا **وأَنِرْ بوجهك فنخلُص**.» (مز ٨٠:٢و٣)
+ «يا إله الجنود ارجعَنَّ، اطَّلِعْ من السماء وانظر وتعهَّد هذه الكرمة، والغرس الذي غرسته يمينك، والابن الذي اخترته لنفسك... لتكن يدك على رَجُل يمينك وعلى ابن آدم الذي اخترته لنفسك، فلا نرتدَّ عنك. أَحْيِنا فندعو باسمك. يا رب إله الجنود أرجِعنا. **أَنِرْ بوجهك فنخلُص!**»

(مز ٨٠:١٤-١٩)

+ «ألا تعود أنت فتُحيينا، فيفرح بك شعبك. أَرِنا يا رب رحمتك، **وأعطِنَا خلاصك.**» (مز ٨٥:٦و٧)

+ «أعلن الرب **خلاصه**، لعيون الأُمم كشف برَّه... رأت كل أقاصي الأرض **خلاص إلهنا.**» (مز ٩٨:٢و٣)

وذِكْر الخلاص بكل أنواعه كثير جداً في مزامير عيد يهوه، وهو يعلو فوق الزمن لأنه خلاص مصدره يهوه. لذلك ظلَّت المزامير تردِّده ويعيش الشعب رجاءه سنةً بسنةٍ وعيداً لعيد حتى انفجر نوره:

+ «الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور. من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.» (مت ٤:١٦و١٧)

وهكذا خدمت اسخاتولوجية الخلاص في مزامير تجليس يهوه الخلاص بإلحاح ورجاء وتذلُّل، عارضة حال الإنسان وبؤسه أمام يهوه حتى تحنَّن وأرسل المخلِّص! فلم يأتِ الخلاص من فراغ، بل خدمته إسرائيل بالدموع كل أيام حياتها، ولكن من خلال ضباب كثيف.

وها الخليقة الجديدة بنت الخلاص الذي خدمته إسرائيل على طول حياتها، تحيا في نوره بلا ذهب ولا فضة: «لأنك إن اعترفتَ بفمك بالرب يسوع، وآمنتَ بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خَلَصتَ» (رو ١٠:٩). وهكذا صار الخلاص ملء الأرض.

وهكذا كان الخلاص مطلباً أساسياً مطلوباً في "عيد يهوه" السنوي. فمع أنه كان قد حقَّقه لهم بصورة علنية باهرة في خروجهم من مصر وعبورهم البحر الأحمر وتيه سيناء الذي كمل لهم بتسكينهم في أرض كنعان، إلاَّ أنهم ظلُّوا

يُعيِّدون لِمَا فات ويطلبون ما هو آتٍ من الخلاص.

وهكذا انكشف لنا صدق تعييدهم وصدق رجائهم الذي تمّمه الله لهم ولنا ولكل الشعوب بالخلاص الذي أكمله يسوع المسيح بالموت والقيامة، الذي به نقل خلقتنا الأولى من التراب إلى ملكوت السموات؛ فصارت لنا السماء موطناً عِوَض الأرض، وورثنا المواعيد العظمى والثمينة والشركة في الطبيعة الإلهية، والوقوف أمام الله قديسين وبلا لوم في المحبة كمطلب الآب.

والعجب أننا وعلى نمط تعييد شعب إسرائيل للخلاص، وبعد أن حصلنا على الخلاص الذي أورثنا الطبيعة الإلهية والسماء موطناً، لا زلنا ننتظر تكميل الخلاص الذي تمَّ، مما يثبت أن عقيدة شعب إسرائيل وإيمانه الذي استمده من الله هو على صحة ونحن نكمِّل ما بدأوه.

ثالثاً: مجيء يهوه:

كان تعييد شعب إسرائيل لتجليس يهوه على عرشه كل رأس سنة يقوم أيضاً على أساس أن يهوه أتى ويأتي وسيأتي. فالتعييد ليهوه وإن كان يتمم لهم كل ما يطلبونه **من تجديد الخلقة** كما يرونها ويعيشونها، سواء في الطبيعة بمعناها الشامل من سماء وأرض وبحار وأنهار وجبال وما تحتويه جميعاً، أو بمعناها الملموس من أمطار وخيرات وزراعات وثمار وبهائم الحقل، وكل ما يرجونه من **خلاص** سواء من أعداء ظاهرين أو خفيين أو قسوة طبيعية وزمان؛ إلاَّ أنهم كانوا يطلبون وينتظرون ويترجّون "مجيء يهوه"، إنْ في صورته الزمانية كل عيد رأس سنة، أو في صورته غير الزمانية كإله يحكم ويدين ويغفر ويحسب. وإليك المزامير:

+ «يأتي إلهنا ولا يصمت. نارٌ قدَّامه تأكل وحوله عاصفٌ جداً.» (مز ٥٠:٣)

+ «أمام الرب لأنه جاء، **جاء** ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل

والشعوب بأمانته.» (مز ٩٦:١٣)

+ «أمام الرب لأنه جاء ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة.» (مز ٩٨:٩)

ويصف المزمور كيفية القضاء والدينونة التي ستتم:

+ «من السماء أسمعتَ حكماً. الأرض فزعت وسكتت، عند قيام الله للقضاء لتخليص كل ودعاء الأرض. سلاه.» (مز ٧٦:٨و٩)

كما أن الجماعة المجتمعة بحضرة يهوه في عيده تجدها فرصة سنوية لتقدِّم اعترافها الجماعي ولكن بصيغة المفرد:

+ «من الأعماق صرختُ إليك يا رب. يا رب اسمع صوتي، لتكن أُذناك مصغيتين إلى صوت تضرعاتي. إن كنتَ تراقب الآثام يا رب يا سيد فمَنْ يقف. لأن عندك المغفرة لكي يخاف منك... لأن عند الرب الرحمة، وعنده فِدًى كثيرٌ. وهو يفدي إسرائيل من كل آثامه.» (مز ١٣٠:١-٣و٧و٨)

+ «إليك رفعتُ عينيَّ يا ساكناً في السموات. هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأَّف علينا. ارحمنا يا رب ارحمنا، لأننا كثيراً ما امتلأنا هواناً...» (مز ١٢٣:١-٣)

ونحن نتعجَّب على هذا الطقس البديع الذي يقف فيه الشعب كله يعيِّد لمجيء يهوه ليطرح أمامه كل آماله ورجاءه واعترافه. ثم يطلب مجيئه أيضاً بتكرار لا يملّ على مدى الأجيال.

حتى جاء الرب فعلاً في وحي المزمور مجيئاً هو في حقيقته صورة حيَّة لمجيئه الأخير لنا بتصوير محكم لكي يَجُبّ بجسده كل ذبائح إسرائيل؛ ويفعل مشيئة

الله ـ التي أخفق إسرائيل فعلها ـ حسب ترتيب الله فيما قبل الدهور والأزمان، هناك كما نواها الله في الأزلية. وفي المزمور يتكلّم الابن الوحيد لأبيه هكذا بصورة نبوية:

+ «بذبيحة وتقدمة لم تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فتحتَ[٣]. محرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلتُ هأنذا جئتُ بدَرْج الكتاب مكتوبٌ عني، أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُرِرْتُ. وشريعتك في وسط أحشائي.» (مز ٤٠: ٦-٨)

وكان هذا المزمور الوصلة الحيَّة التي ربطت القديم بالجديد حينما حقّق فعلاً ابن الله الوحيد بمجيئه إلى العالم في اكتمال الزمن متجسِّداً بهيئة عبد، وكان جسده حقّاً عِوَضَ كل الذبائح جميعاً، إذ قدَّمه على الصليب ذبيحة عن خلاص كل العالم، وذاق الابن فعلاً الموت من أجل كل واحد!

والعجيب حقّاً أننا ـ ومثل الطقس القديم ـ لا نزال نترجَّى بمجيئه!! ننتظر مجيئه بفارغ الصبر، ليُلبسنا نحن المخلَّصين ثوب البهاء والمجد، ويضع علينا إكليل البر فنصلح أن نكون عروساً:

+ «فإنَّ سيرتنا نحن هي في السموات، **التي منها أيضاً ننتظر مُخلِّصاً** هو الرب يسوع المسيح، الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يُخضِعَ لنفسه كل شيء.» (في ٣: ٢٠و٢١)

+ «نُشْهِدُكم لكي تسلكوا كما يَحِقُّ لله **الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده... وتنتظروا ابنه من السماء**... الذي يُنقذنا من الغضب الآتي.» (١تس ٢: ١٢؛ ١: ١٠)

---

(٣) فتْح الأُذُن هو في المفهوم الإسرائيلي تسجيلٌ يُعمَل للرجل علامةً على صيرورته عبداً (خر ٢١: ٦).

+ «وإله كل نعمة الذي **دعانا إلى مجده الأبدي** في المسيح يسوع، بعد ما تألَّمتم يسيراً، هو يُكمِّلكم، ويُثبِّتكم، ويُقويكم، ويُمكِّنكم.» (١بط ٥:١٠)
+ «والقادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويُوقِفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج.» (يهوذا ٢٤)
+ «متى أُظْهِرَ المسيح حياتنا، فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣:٤)
+ «لأنه لاقَ بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يُكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام.» (عب ٢:١٠)
+ «ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يَبْلَى.» (١بط ٥:٤)
+ «كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وَهَبَ لنا المواعيد العُظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية.» (٢بط ١:٣و٤)
+ «فإني أنا الآن أسكب سكيباً، ووقت انحلالي قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم، الرب الديَّان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢تي ٤:٦-٨)

هذا هو الخلاص الذي نطلبه ونترجاه من المسيح بعد أن أكمل خلاصنا بالآلام كما يقول بولس الرسول: «إن كنَّا نتألَّم معه (في خلاصنا الحاضر الذي لن يكمل لنا إلاَّ بالآلام معه)، لكي نتمجَّد أيضاً معه (في خلاصنا المنتظر الموضوع أمامنا).» (رو ٨:١٧)

فنحن الآن نعيش الخليقة الجديدة في ملء خلاصنا الذي تمَّ بدم المسيح

وقيامته. ولكن لا تزال حياتنا الجديدة غير منظورة، بل مستترة كالمسيح القائم من بين الأموات: «لأنكم قد مُتُّمْ **وحياتكم مستترة** مع المسيح في الله» (كو ٣:٣). فكما يقول القديس بولس: «متى أُظْهِرَ المسيح حياتنا، فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣:٤)

هذه هي اسخاتولوجية الإيمان المسيحي، التي نعيش نحن أيضاً في رجائها، كما كان شعب إسرائيل في رجاء اسخاتولوجية تحقّقت فينا.

وإذ نعود الآن إلى مزامير تجليس يهوه على عرشه في عيده السنوي لندرس قوة العقيدة والإيمان والمنطق في هذه المزامير في تطلُّعها الاسخاتولوجي لمجيء يهوه للخلاص بصورة دائمة ومتكررة مدى كل أجيال إسرائيل الملتزمة بالعيد والطقس؛ نُدرك تماماً أن الإيمان الذي تقوم عليه إيمانٌ حقيقي، والتطلُّع الذي كان الشعب يتطلّع إليه من وراء بؤس الزمن هو حقًّا تطلُّع إلهي بكل معنى، وكان تسبيحهم وتهليلهم بالآلات والصفوف تعبيراً نودُّ من كل القلب أن نحاكيه، لأنه كان نابعاً من ثقة وبساطة قلب وفرح حقيقي.

الخليقة الجديدة والأُخرويات عند الأنبياء:

ولعل الأنبياء كانوا أكثر توضيحاً واستعلاناً لِمَا كان الشعب يسبِّح له ويرجوه من جهة المجيء والخلاص المنشود. فنسمع إشعياء يقول عن اليوم الذي طالما ذكرته المزامير والذي فيه يترجون مجيئاً أكثر وضوحاً وخلاصاً أكثر شمولاً:

+ «وتقول في ذلك اليوم أحمدك يا رب لأنه إذ غضبت عليَّ ارتدَّ غضبك فتعزيني. هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب لأن ياه يهوه قوَّتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً. فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص. وتقولون في ذلك اليوم: احمدوا الرب، ادعوا باسمه، عرِّفوا بين الشعوب بأفعاله، ذكّروا بأن اسمه قد تعالى، رنّموا للرب لأنه قد صنع مفتخراً.

ليكن هذا معروفاً في كل الأرض.» (إش ١٢:١-٥)

+ «ويُقال في ذلك اليوم: هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلّصنا. هذا هو الرب انتظرناه، نبتهج ونفرح بخلاصه.» (إش ٢٥:٩)

وهنا نجد أن رنّة النبوة تكاد تقول إنه قد جاء كل المجيء المرجو، وقد خلّص كل الخلاص المنتظر. فالتغيير هنا تغيير مستقبلي حاضر أو قد حضر. إلى هذا الحدِّ كان النبي كثير الشفافية عن أيامنا هذه التي نحياها في الخلاص والفرح والبهجة والترنّم. والرب حاضر في وسطنا بل وفينا.

بل هوذا إشعياء النبي نفسه يرى وكأنه معنا وكأن كل شيء قد صار، فيتكلّم عن الخلاص الذي حدث مرة واحدة وفي يوم عجيب واحد، بل وفي شخص إلهي واحد، بموته وقيامته؛ فخرجت الخليقة الجديدة إلى الوجود بخروج جسد المسيح المُقام من بين الأموات، وأُعلنت وشاعت، وآمن وأخذ وعاش بها الإنسان من كل شعب ولسان وأُمة، كل مَنْ اعتمد مؤمناً وأخذ الجسد واستقى الدم، فتقدَّس وتبرَّر ودخل عهد القيامة وصار مواطناً سماوياً. هكذا يقول إشعياء:

+ «هل تمخض بلاد في يوم واحد، أو تولَد أُمَّة دفعة واحدة،
فقد مخضت صهيون بل ولدت بنيها...
افرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبيها.» (إش ٦٦:٨-١٠)

ثم يعود إشعياء ويتسمَّع النبوَّة من فم الرب، وقد تكلّم بما هو قد أزمع أن يكون في تجديد وجه السماء والأرض تجديداً يكون القديم فيه في خبر كان الذي نُسِي:

+ «لأني هأنذا خالقٌ سموات جديدة وأرضاً جديدة، فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال،

بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالقٌ،
لأني هأنذا خالقٌ أورشليم بهجةً وشعبها فرحاً.» (إش ٦٥: ١٧و١٨)

وهذا هو الخلق الجديد الذي نعيش فيه وقد صارت أرض الشقاء تحت أرجلنا أرض بشارة بحياة جديدة وأخبار سارة، أخبار تدوم إلى الأبد، حقائق معاشة:

+ «ما أجمل على الجبال قَدَمَي المُبشِّر المُخبر بالسلام، المُبشِّر بالخير، المُخبر بالخلاص...» (إش ٥٢: ٧)

وقد هتفت الملائكة من السماء يوم ميلاد المخلِّص أنَّ: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرَّة» (لو ٢: ١٤). فقد دشن الرب يسوع أرضنا بالسلام يوم مولده! أما السماء فقد أصبحت لنا موطناً، وقد رفع المسيح جبلتنا الجديدة لتصير معه في السماء وتجلس أيضاً عن يمينه: «أقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويَّات.» (أف ٢: ٦)

وتمادى هذا النبي البارع في إتقان الرؤيا، فاستعلن ثوب الخلاص الذي ألبسنا الله وكيف زيننا بإكليل البر:

+ «فرحاً أفرح بالرب. تبتهج نفسي بإلهي، لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص، كساني رداء البر. مثل عريس يتزيَّن بعمامة، ومثل عروس تتزيَّن بحُليها.» (إش ٦١: ١٠)

وقد تمَّت الزينة على يدي بولس الرسول نبي العهد الجديد حينما مخض بنا مخاض الإنجيل لنولد على يديه بشبه المسيح (غل ٤: ١٩) لنصلح أن يخطبنا له عذراء عفيفة (٢كو ١١: ٢): «هذا السرُّ عظيمٌ، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة» (أف ٥: ٣٢). ويبدو أنه قد استعلن لإشعياء النبي ما لبسناه يوم اعتمدنا للمسيح:

+ «لأن كلَّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.» (غل ٣: ٢٧)

وهكذا التحمت اسخاتولوجية المزامير باسخاتولوجية الأنبياء، فرأى الموهوبون في العهد القديم المواعيد العُظمى والثمينة، فآمنوا بها ورأوها من بعيد وترجوها وحيُّوها وماتوا ولم ينالوا، ولكنهم أقرُّوا أنهم غرباء ونزلاء على أرض شقائهم، فكانوا يطلبون وطناً أفضل (عب ١١:١٣و١٦). هذا الذي نلناه ونعيشه، لا في ضباب الرؤيا كما رأوا، ولكن في تمام الصحو والتحقيق، كما يقول بطرس الرسول:

+ «بل قد كنّا مُعاينين عظمته. لأنه أخذ من الله الآب كرامةً ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسْنَى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سُرِرْتُ به. ونحن سمعنا هذا الصوت مُقبلاً من السماء، إذ كنّا معه في الجبل المقدَّس.» (٢بط ١:١٦-١٨)

وهذا أيضاً القديس يوحنا الذي رأى ولمس وشاهد وشهد، بل أخذ وأعطانا لنفرح:

+ «الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة (الرب يسوع). فإن الحياة أُظْهِرَت، وقد رأينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظْهِرَت لنا (في الرب يسوع). الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١:١-٤)

فإن كنّا نحن أيضاً نكتب هذا لك، عزيزي القارئ، فلكي يكمل فرحك، وتعطي تسبيحاً؛ لا بتسبحة الرجاء والتمني التي كانت لهم في القديم، بل تسبحة الغلبة والخلاص.

(٢٠ سبتمبر ١٩٩٨)

الإنسان الجديد ومفاعيل الروح القدس التي دبَّرها الله لبنيانه وعمله

■❖✞❖■

حينما نتكلّم عن الإنسان الجديد، فنحن نتكلّم عن الخليقة الجديدة التي أُعطيت للإنسان كأعظم نعمة تقبَّلها من الله. فبعد أن كان خليقة آدمية محكوماً عليها بالموت، صار خليقة روحانية سماوية لها إرث الحياة الأبدية مع المسيح. وهي كلّفت الله تجسُّد ابنه الوحيد، أي اتحاده بجسدٍ بشري بميلاده من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم؛ وبهذا التجسُّد صار المسيح شريكاً معنا بالجسد، مما أهَّله أن يحمل خطايانا في جسده على الصليب ويبطلها بموته، بعد أن تقبَّل حكم الموت وعقوبته معنا ومن أجلنا على يد اليهود وبيلاطس البنطي. وهكذا غُفِرت خطايانا ورُفِع حكم الموت عنّا. ولَمَّا قام المسيح من الموت، قام بجسده الذي أخذه منا - أي ونحن فيه - إذ صرنا نحن أيضاً شركاءه في ذات الجسد بعد أن داس الموت، وقبلنا معه الحياة الأبدية:

+ «لأنه إن كنّا قد صرنا مُتّحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُبْطَل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية... فإن كنّا قد متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه (بقيامته).» (رو ٦: ٥-٨)

ولكن أن نحيا مع المسيح الآن كخليقة جديدة فقد تمَّ هذا بميلادٍ جديد بتدخُّل الروح القدس الرب المُحيي:

١ - بالمعمودية التي سمَّاها المسيح أولاً وأصلاً "الميلاد من فوق"، أي

نُحسب أننا وُلدنا ثانية لنصير خليقة جديدة سماوية، أعضاؤها أفراد صاروا بالمعمودية أعضاءً روحانية في جسد المسيح القائم من الموت، لأن المعمودية تمَّت لحساب جسد المسيح القائم من الموت: «لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا **إلى جسدٍ واحدٍ**... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً... **وأما أنتم فجسد المسيح، وأعضاؤه أفراداً.**» (١كو ١٢:١٣-٢٧)

هذا معناه أن الإنسان الجديد هو عضو في جسد المسيح، وقد وردت في رسالة كولوسي بمعنى جميل: «وليَمْلِك في قلوبكم سلام الله **الذي إليه دُعيتم في جسدٍ واحد**، وكونوا شاكرين.» (كو ٣:١٥)

ومن هنا جاءت الحقيقة أن الكنيسة هي جسد المسيح وهو رأسها (أف ١:٢٢و٢٣). فليس مستغرباً أن المسيح يطلب من الآب أن يُرسِل الروح القدس للإنسان ليكون معزِّياً آخر، بعد أن يرتفع هو إلى السماء ليقيم الروح مع الإنسان على الأرض ويؤنس غربته: «وأنا أطلب من الآب فيُعطيكم معزِّياً آخرَ **ليمكث معكم** إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه **لأنه ماكثٌ معكم ويكون فيكم.**» (يو ١٤:١٦و١٧)

ويُلاحظ القارئ أن المسيح يذكر أن الروح القدس سيكون **ماكثاً معهم، ويكون فيهم**. وهنا **ماكثٌ معهم** تعني شركة في الحياة يلازم فيها الروحُ القدس الإنسانَ ويُعلِّمه ويرشده وتكون عينه عليه. وتعتبر شركة الروح القدس تاج الإيمان المسيحي، تهتف بها الكنيسة على لسان الأسقف قبل بدء كل قدَّاس: «نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين» (٢كو ١٣:١٤). وقد أعادت الكنيسة صياغتها بحسب منطوق الإيمان هكذا: "محبة الله الآب، ونعمة الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، وشركة وموهبة الروح القدس، تكون مع جميعكم". ويرد الشعب: "ومع

روحك أيضاً".

ثم يكون فيهم أيضاً، وهنا معنى الاتحاد بالروح حيث التقديس به، وهو يسوق الإنسان ليُقدِّمه لله. وفي هذا يحكي بولس الرسول إلى أهل غلاطية مؤكِّداً: «ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً: يا أَبَا الآب. إذاً لستَ بعد عبداً بل ابناً» (غل ٤:٦و٧). هنا يصف بولس الرسول كيف ينطق الروح القدس في قلوبنا شاهداً لأرواحنا أننا أولاد الله: «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو ٨:١٦)

وأما سُكنى الروح القدس في قلوبنا فأصبحت عقيدة ثابتة قائمة في الكنيسة: «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو ٣:١٦)، ويزيد القديس بولس تأكيداً: «لأن هيكل الله مقدَّسٌ الذي أنتم هو» (١كو ٣:١٧). وقد قامت عقيدة القيامة من بين الأموات لأجسادنا المائتة على هذا الأساس: «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو ٨:١١). وهذه يشرحها بولس الرسول أيضاً من ناحية أخرى لأهل رومية قائلاً: «نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا، متوقِّعين التبنِّي فداء أجسادنا» (رو ٨:٢٣). والكلام هنا ثمين جداً، إذ أن التبنِّي الذي أخذناه بحلول روح المسيح فينا ستظهر قوته يوم القيامة، إذ سيكون له قوة فداء أجسادنا؛ بمعنى أنه عِوَض أجسادنا الترابية الميتة، يعطينا أجساداً روحية تحيا إلى الأبد. وهكذا يتم حرفياً قول المسيح إننا نصير خليقة جديدة مولودة من فوق لتحيا فوق بالنهاية.

٢ ـ بدء عملية إعطاء الروح القدس كهبة بصفة دائمة عامة:

هذه بدأت يوم الخمسين حسب وعد مخلِّصنا لتلاميذه المجتمعين في العلِّية:

+ «إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. **وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلّم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلّم به، ويُخبركم بأمور** آتية. **ذاك يمجّدني، لأنه يأخذ مِمَّا لي ويُخبركم. كل ما للآب هو لي. لهذا قلت إنه يأخذ مِمَّا لي ويُخبركم.** بعد قليل لا تبصرونني، ثم بعد قليل أيضاً ترونني، لأني ذاهب إلى الآب.» (يو ١٦:١٢-١٦)

وهنا نبدأ بالموعد الأول:

+ «وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلّم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلّم به ويُخبركم بأمور آتية».

هذه أول وظائف الروح القدس بعد ارتفاع المسيح. فأخطر ما واجه التلاميذ بعد ارتفاع المسيح أمامهم علانية هو معرفة ما قد تمَّ، لأن اعتماد التلاميذ قد انتقل من المسيح إلى الروح القدس الآن، فكان على التلاميذ أن يعطوا جواباً عمَّا حدث، وبالحق!

وأول ما أربك الجموع المتزاحمة ـ وكان عيد الخمسين لا يزال قائماً والذين في الشتات موجودين ورأوا:

أ ـ حلول الروح القدس، وكانت الساعة الثالثة من النهار، فتساءلوا ما عسى أن يكون هذا، وكان آخرون يستهزئون قائلين إنهم قد امتلأوا سُلافة، أي شُرب الخمر الرديئة التي تذهب بالعقل. فكانت صيحة بطرس الرسول أول شهادة بالحق، وكان الروح القدس أميناً، إذ أخذ من المسيح ما حدث بالحق وأعلنه لهم هكذا:

+ «هؤلاء ليسوا سُكَارَى كما أنتم تظنون، لأنها الساعة الثالثة من النهار. بل هذا ما قيل بيوئيل النبي، يقول الله: ويكون في الأيام

الأخيرة أني **أسكب من روحي على كل بشر**، فيتنبَّأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رُؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً. **وعلى عبيدي أيضاً وإمائي أسكب من روحي** في تلك الأيام فيتنبَّأون.» (أع ٢:١٥-١٨)

ب ـ «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: **يسوع الناصري** رجل قد تبرهن لكم من قِبَل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضاً تعلمون. **هذا أخذتموه مُسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدي أَثَمَة صلبتموه وقتلتموه. الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت**، إذ لم يكن مُمْكِناً أن يُمْسَك منه... فيسوع هذا أقامه الله، ونحن جميعاً شهودٌ لذلك.» (أع ٢:٢٢-٢٤و٣٢)

ج ـ «وإذ ارتفع بيمين الله، **وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سَكَبَ هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه.**» (أع ٢:٣٣)

د ـ «فليَعْلَم يقيناً جميع بيت إسرائيل أنَّ الله **جعل يسوعَ هذا، الذي صلبتموه أنتم، ربًّا ومسيحاً.**» (أع ٢:٣٦)

وكان هذا هو أول دفاع قام به الروح القدس على فم القديس بطرس مُعلناً فيه أربع حقائق هامة:

أولاً: إن حلول الروح القدس يوم الخمسين كما رأوه هو تحقيق نبوَّة يوئيل النبي تماماً.

ثانياً: شهادة صادقة عن صلب المسيح وموته حسب مشورة الله السابقة، ثم أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت.

ثالثاً: وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سَكَبَ

الروح القدس الذي رأوه يوم الخمسين. وهنا يُحقِّق الروح القدس على فم القديس بطرس فعلاً ما سبق أن قاله المسيح بالضبط: «ومتى جاء المعزِّي الذي سأُرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء.» (يو ١٥: ٢٦و٢٧)

رابعاً: وهنا أول وأقوى شهادة للروح القدس على فم القديس بطرس عن لاهوت المسيح أن الله جعل يسوع هذا ربًّا ومسيحاً.

وكان نُطْق بطرس الرسول بالروح القدس في الدفاع عن الإيمان المسيحي بأركانه الأربعة:

الأول: **تحقيقاً لنبوَّة يوئيل النبي** بانسكاب الروح القدس، وقد تمَّ يوم الخمسين **كأول امتلاء بالروح القدس وأول نموذج للامتلاء في الكنيسة.**

الثاني: تحقيق صلب المسيح وموته على الصليب وقيامته من الموت ناقضاً الموت، أي إلغاء هذا العدو الذي دوَّخ البشرية.

الثالث: تحقيق موعد الآب الذي طلبه المسيح من الآب بانسكاب الروح القدس للملء.

الرابع: لاهوت المسيح.

هذه كلها مكاسب الإنسان الجديد الموهوبة له من الروح القدس.

والآن نأخذ هذه الحقائق المسيحية ونرى كيف طُبِّقت في الإيمان المسيحي لكل إنسان بحسب سفر الأعمال والرسائل. **ونكتفي هنا بالأولى والثالثة معاً** وهي لتحقيق انسكاب الروح القدس للملء. وكانت هذه الحقيقة التي أتمَّها الروح القدس بأمر الآب واستدعاء المسيح أقوى وأشمل عمل للروح القدس في

طبيعة الإنسان حيث أنشأ فيها المفاعيل الآتية:

أ ـ **انفتاح وتجديد الفكر والقلب لمعرفة الإيمان بالمسيح:** «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغُسْل الميلاد الثاني **وتجديد الروح القدس**، الذي سكبه بغِنًى علينا بيسوع المسيح مخلِّصنا. حتى إذا تبرَّرنا بنعمته، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية» (تي ٣:٥ـ٧)، «حينئذ **فتح ذهنهم** ليفهموا الكتب» (لو ٢٤:٤٥). وجرت هذه على التلاميذ كأول نموذج لنا «لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعْطَى لنا.» (رو ٥:٥)

ب ـ «ونحن لم نأخذ (في العماد والمسحة) روح العالم، بل الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التي نتكلَّم بها أيضاً، لا بأقوال تعلِّمها حكمة إنسانية، بل بما يُعلِّمه الروح القدس، قارنين الروحيات بالروحيات.» (١كو ٢:١٢و١٣)

وقد وصفها القديس بولس بهذا الوصف: «كما هو مكتوب: ما لم ترَ عين، ولم تسمع أُذُن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعدَّه الله للذين يُحبونه. **فأعلنه الله لنا نحن بروحه،** لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.» (١كو ٢:٩و١٠)

بهذا الوصف أصبحت إمكانيات الإنسان الجديد في المعرفة شيء يفوق العقل والوصف، وقد وصفها القديس بولس أيضاً في رسالته إلى أهل أفسس بقوله العجيب الذي لا يمكن لإنسان في العالم أن يُصدِّقه: «بسبب هذا أحني ركبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح... لكي يعطيكم بحسب غِنَى مجده، **أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن** (الإنسان الجديد)، ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصِّلون ومتأسِّسون في المحبة، حتى تستطيعوا أن تُدركوا مع جميع القديسين... وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، **لكي تمتلئوا**

إلى كل ملء الله!!!» (أف ٣: ١٤-١٩)

مَنْ يصدِّق هذا! نعم هذه هي عطية الروح القدس للإنسان الجديد حينما يتأيَّد بالقوة في الداخل. إلى هذا الحدِّ تبلغ معرفة الإنسان الجديد، فلا يعود شيء قط من أسرار الله ومحبته ونعمته يخفى على الإنسان الجديد. هذا يأتي بالصلاة من القلب!

وقد سبق وتنبَّأ إشعياء على عمل الروح القدس في الإنسان حينما انسكب أولاً على المسيح كعربون: «ويحل عليه روح الرب، روح **الحكمة والفهم**، روح **المشورة والقوة**، روح **المعرفة ومخافة** الرب.» (إش ١١: ٢)

ج ـ تحقيق قول الرب عن عمل الروح القدس مع الإنسان بأنه «**يمكث معكم**» (يو ١٤: ١٦)، الذي يحقِّق وعد الله لموسى بأن **يسير معهم** (خر ٣٣: ١٤-١٦)، ولذلك دعا الربُّ الروحَ القدس الباراكليت أي المعزِّي:

+ «الروح والعروس يقولان تعالَ.» (رؤ ٢٢: ١٧)
+ «لأنه قد رأى **الروح القدس ونحن** أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة.» (أع ١٥: ٢٨)

يتضح هنا ملازمة الروح القدس للتلاميذ الأوائل بصورة واضحة فعلية. وهو الذي عبَّرت عنه الكنيسة بتلقيب الروح القدس بـ "**روح الشركة**"، وتعني روح التلازم الدائم والسهر الدائم على الإنسان الذي عرفه المزمور ٣٢ بالقول: «أُعلِّمك وأُرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك، عيني عليك» (مز ٣٢: ٨). وهذه قمة الرعاية فهي تكميل لقول المسيح ووظيفته أنه "الراعي الصالح"، ويزيدها لقب "الباراكليت" بصفة التعزية والدفاع. وبهذه الصفة "الشركة" يدخل الروح القدس ضمن الثالوث في عمله للإنسان حسب الآية (٢كو ١٣: ١٤) التي اتخذتها الكنيسة تعبيراً تفتتح به قدَّاساتها: "محبة الله الآب،

ونعمة الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، **وشركة وموهبة الروح القدس**، تكون مع جميعكم" (القداس الإلهي). وبهذه الصفة يدخل الإنسان مع الروح القدس في شركة واعية للمحبة الصادقة المتبادلة، والدعاء الدائم للمعونة والتوعية والإلهام وفتح بصيرة الإنسان، لإدراك ما يُرضي الله الآب ويُفرِّح الابن الوحيد بحياة العبادة الصادقة بالروح والحق التي يطلبها الله: «الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالِبٌ مثل هؤلاء الساجدين له» (يو٤:٢٣). ويدخل فيها الإرشاد والنُّصح لاختيار الطريق الأفضل والكلمة النافعة والشهادة في وقتها.

د ـ «**ويكون فيكم**»: وهذا تأكيد لمفهوم روح السُّكنى الدائمة، حيث تبلغ الشركة أقصاها ونبلغ نحن حالة التبنّي، حيث الروح القدس هو «**روح التبني**» (رو ٨:١٥)، «وأما كل الذين قبلوه (المسيح) فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو ١:١٢)، وتزيدها تأكيداً: «إذ سبق فعيَّننا **للتبنّي** بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرَّة مشيئته» (أف ١:٥). وهذه الآية تكشف عن سابق قصد الله من تبنّي الإنسان لنفسه لمسرَّته الشخصية. وهكذا يكون انسكاب الروح القدس للملء عملية متوافقة مع مسرَّة الله الآب، وهي كفيلة أن تُدخِل النفس في مسرَّة الله أيضاً، وهي ـ بآنٍ واحد ـ عملية التحام أيضاً في المسيح: «ثم بما أنكم أبناءٌ، أرسل الله **روحَ ابنه** إلى قلوبكم صارخاً: يا أَبَا الآب» (غل ٤:٦). لذلك يُعتبر سُكنى الروح فينا عامل شهادة وجذب نحو الآب، ويعطي دالة الأُبوَّة التي بها نشعر أننا قد صرنا حقًّا أبناء ومن أهل بيت الله!

هـ ـ إعطاء مسحة الروح القدس:

+ «وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يُعلِّمكم أحدٌ، بل كما تُعلِّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي

حقٌّ وليست كذباً.» (١يو ٢:٢٧)
+ «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء.» (١يو ٢:٢٠)

المسحة هنا على مثال مسحة العهد القديم التي كانت تشير إلى عمل الله السرِّي، ولكن هنا تفيد الروح القدس علانية مثلما جاءت في (أع ٤:٢٦و٢٧): «واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه، لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع، **الذي مسحته**...». هنا المسحة هي التي عبَّر عنها المسيح نفسه بأنَّ «روح الرب عليَّ، لأنه مسحني» (لو ٤:١٨)، «يسوع الذي من الناصرة كيف **مسحه الله** بالروح القدس والقوة...» (أع ١٠:٣٨). وقد جاءت أيضاً بوضوح: «ولكن الذي يُثبِّتنا معكم في المسيح، **وقد مسحنا، هو الله الذي ختمنا أيضاً، وأعطى عربون الروح في قلوبنا**» (٢كو ١:٢١و٢٢). ويتفق العلماء المحدثون أنها تشير إلى عمل الروح القدس بصورة علنية كما كانت تظهر أعمال الله في القديم في الذي يمسحه الروح.

والقديس يوحنا في الآية الأولى (١يو ٢:٢٧) يشجِّع المؤمنين الذين نالوا عطية الروح القدس أنهم صاروا بدرجة مقدسة مُلهمة كالأنبياء في القديم، يعرفون الحق مباشرة من الروح القدس ولا شيء يستطيع أن يكذب عليهم لأنه روح الله وروح الحق الذي يُعرِّف بكل الحق.

ومن الخبرة نعلم أن الذين يحل عليهم الروح القدس يكونون فعلاً ممسوحين ولهم روح الحق ولا يستطيع أحد أن يكذب عليهم، كما يقول القديس يوحنا: «وهي حقٌّ وليست كذباً». خصوصاً وأن القديس يوحنا في رسالته الأولى يُعالج مشكلة الضد للمسيح الكذَّاب وأبي كل كذَّاب. وبالنسبة للإنسان المتجدِّد (المولود جديداً من الروح)، فبحلول الروح عليه يصير قوة حصينة للحق والشهادة للحق.

+ «ويكون في ذلك اليوم أن حِمْلَهُ يزول عن كَتِفِكَ ونيره عن عنقك ويزول النِّير بسبب **المسحة**.» (إش ١٠:٢٧ حسب السبعينية)
= «نيري هيِّن وحِمْلي خفيف.» (مت ١١:٣٠)

والمسحة هي تكريس المؤمن للخدمة بالروح على مثال مسحة العهد القديم التي كانت تُعطَى للمختارين ومعها قوة للكرازة أو الخدمة والنطق بالروح بصفة خاصة. والممسوح بالروح مُرسل من الله ويتكلّم باسم الله: «الذي ... قد مسحنا **هو الله**.» (٢كو ١:٢١)

و - روح تقديس:

بحلول الروح القدس على الإنسان المولود من الماء والروح، يهبه روح تقديس، كما يقول القديس بولس: «ا لله اختاركم من البدء للخلاص، **بتقديس الروح** وتصديق الحق» (٢تس ٢:١٣)، وهي الصفة المباركة التي ينالها المؤمن بالمسيح في الكنيسة. فالكنيسة هي مجتمع القديسين، والذي يثبت لنا أننا نلنا هذا هو قول بولس الرسول: «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت» (رو ٨:٢)، وكذلك أيضاً: «الذي فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس» (أف ١:١٣)، «الذي به خُتمتم ليوم الفداء.» (أف ٤:٣٠)

إذن، فروح التقديس أصبح بالنسبة للإنسان الجديد حقيقة ثابتة كختم وكعربون فداء ينتظره، كفيل بأن يهب جسده الترابي الميت جسداً روحياً سماوياً لائقاً بسُكنى السماء، كما يقولها بولس الرسول: «بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا، متوقّعين التبنِّي **فداء أجسادنا**» (رو ٨:٢٣)، «وهكذا كان أُناس منكم. لكن اغتسلتم، بل **تقدَّستم**، بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١كو ٦:١١). وأخيراً يحذِّر الروح، كما يقول بولس الرسول: «اتبعوا السلام مع الجميع، **والقداسة** التي بدونها لن يرى

أحد الرب.» (عب ١٢: ١٤)

ز ـ روح صلاة والمداومة عليها:

العمل الأول والأعظم الذي يقوم به الروح القدس للإنسان الذي يتبنّاه جديداً هو أن يعلّمه كيف يُصلّي:

+ «كذلك الروح أيضاً يُعين ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلم ما نُصلّي لأجله كما ينبغي. ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنّاتٍ لا يُنطق بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القدّيسين.» (رو ٨: ٢٦و٢٧)

+ «مصلّين بكل صلاة وطلبة **كل وقت في الروح**، وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة، لأجل جميع القديسين.» (أف ٦: ١٨)

والذين يعرفون الصلاة يعرفون تماماً أنه من الصعب، بل ربما من المستحيل، الصلاة بمداومة وبلا انقطاع بدون مؤازرة الروح القدس، حيث تكون الصلاة **صلاة في الروح!!** وهنا يظهر قيمة كلام المسيح:

+ «الله روح. والذين يسجدون له **فبالروح والحق** ينبغي أن يسجدوا. لأن الآب طالِبٌ مثل هؤلاء الساجدين له.» (يو ٤: ٢٤و٢٣)

+ «تأتي ساعة، وهي الآن (بعد حلول الروح القدس)، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب **بالروح والحق**.» (يو ٤: ٢٣)

+ «لأننا نحن الختان، الذين **نعبد الله بالروح**، ونفتخر في المسيح يسوع، ولا نتكل على الجسد.» (في ٣: ٣)

والعجيب أن الروح يدفعنا للصلاة، والصلاة تلهب الروح في قلوبنا.

ح ـ تقديم الشكر متواصلاً:

+ «بل امتلأوا بالروح... **شاكرين كل حين على كل شيء** في اسم ربنا

يسوع المسيح، لله والآب.» (أف ٥:١٨ـ٢٠)

فالشكر المتواصل نهاراً وليلاً هو علامة فعالية الروح القدس في الإنسان الجديد، لأن كل شيء يُنظر بالروح أنه هبة الله.

+ «**اشكروا في كل شيء، لأن هذه هي مشيئة الله** في المسيح يسوع من جهتكم.» (١تس ٥:١٨)

وكأن موهبة الإنسان الجديد الأكثر فعالية في نظر الله الآب هي الشكر الدائم.

+ «نحن أيضاً نشكر الله بلا انقطاع.» (١تس ٢:١٣)

+ «لأن جميع الأشياء هي من أجلكم، لكي تكون النعمة وهي قد كَثُرَت بالأكثرين، **تزيد الشكر لمجد الله**.» (٢كو ٤:١٥)

من هنا نفهم أن كل شكر بزيادة هو لمجد الله.

+ «لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر، لتُعلم طلباتكم لدى الله.» (في ٤:٦)

وكأن وجود الشكر في الصلاة هو ختم استجابة.

+ «واظبوا على الصلاة، ساهرين فيها بالشكر.» (كو ٤:٢)

وكأن الشكر يلهب السهر.

ط ـ يعطي قوة للخدمة:

لا تقوم الخدمة إلاَّ على رجال يصلُّون لكي تُحمل الخدمة على الصلوات:

+ «أطلب إليكم أيها الإخوة، بربنا يسوع المسيح، وبمحبة الروح، أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله.» (رو ١٥:٣٠)

علماً بأن الذي يطلب صلوات الآخرين على أساس محبة الروح هو بولس الرسول نفسه!

+ «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون. قال الروح القدس: أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه.» (أع ١٣:٢)
+ «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠:٢٨)
+ «لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً، بل هو برٌّ وسلامٌ وفرحٌ في الروح القدس. لأن مَنْ خدم المسيح في هذه فهو مرضيٌّ عند الله، ومُزكّى عند الناس.» (رو ١٤:١٧و١٨)
+ «ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة، يخدم بها بعضكم بعضاً، كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة.» (١بط ٤:١٠)

وهكذا يُحسب كل مَنْ أخذ موهبة الخدمة من الروح القدس وكيلاً على نعمة الله، أي يخدم لحساب النعمة.

+ «لأن الله ليس بظالمٍ حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه، إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم.» (عب ٦:١٠)
+ «ظاهرين أنكم رسالة المسيح، مخدومة منّا، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي. لا في ألواح حجرية بل في ألواح قلب لحمية.» (٢كو ٣:٣)

وهكذا تُسجَّل خدمة الآخرين بروح الله الحي.

+ «الذي جعلنا كُفاة لأن نكون خُدَّام عهد جديد. لا الحرف بل الروح.» (٢كو ٣:٦)
+ «فكيف لا تكون بالأَوْلَى خدمة الروح في مجد؟» (٢كو ٣:٨)

ي ـ **يشهد للمسيح:**

+ «ومتى جاء المُعزِّي الذي سأُرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، **فهو يشهد لي**، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي

من الابتداء.» (يو ١٥:٢٦و٢٧)

ووضحت شهادة الروح القدس للمسيح جداً يوم الخمسين، إذ بدأها الروح القدس ببطرس الذي سبق وأنكر معرفته للمسيح! وأعطاه قوة للشهادة أمام ثلاثة آلاف من يهود الشتات.

+ «وليس أحد يقدر أن يقول: يسوع ربٌّ إلاَّ بالروح القدس.» (١كو ١٢:٣)

وهذا يعني أن الشهادة بالروح حتمية وعمومية.

+ «ولكنه لكل واحد **يُعْطَى إظهار الروح للمنفعة.**» (١كو ١٢:٧)

بمعنى استقطاب كل أنواع الخدمات لتكون بواسطة الروح القدس.

+ «ولكن **هذه كلها يعملها الروح الواحد** بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده، كما يشاء.» (١كو ١٢:١١)

هنا يتدخل الروح القدس ليختار ما يهبه للأفراد.

والروح القدس يطرح كلمة الشهادة بقوة في ألسنة القديسين والأنبياء:

+ «تكلَّم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (٢بط ١:٢١)

وهو أيضاً يشهد للمسيح بأن يُغيِّر كل ما لنا ليصير على مثال المسيح:

+ «نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها، من مجدٍ إلى مجدٍ كما من (**بواسطة** ἀπό **الرب الروح** κυρίου πνεύματος.» (٢كو ٣:١٨)

+ «**لأني أعلم أن هذا يؤول لي إلى خلاص بطلبتكم ومؤازرة روح يسوع المسيح.**» (في ١:١٩)

+ «**مَنْ له أُذُن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس. مَنْ يغلب فسأُعطيه أن** يأكل من شجرة الحياة (المسيح) التي في وسط فردوس الله.» (رؤ ٢:٧)

+ «ونحن شهودٌ له بهذه الأمور، والروح القدس أيضاً، الذي أعطاه الله

للذين يطيعونه.» (أع ٥:٣٢)

+ «أما هو فَشَخَصَ إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله، ويسوع قائماً عن يمين الله.» (أع ٧:٥٥)

* * *

أما مفردات عمل الروح القدس في الإنسان الجديد فلا تقع تحت حصر. فالمسيح وَعَدَ التلاميذ أنهم بحلول الروح القدس سينالون قوة (أع ١:٨)، فما بالك بالذي وُلِد من الروح والروح يسكن فيه. والمسيح لَمَّا قال إنه هو النور، والنور يضيء في الظلمة، هذا بعمل الروح القدس. لذلك قال: «أنتم نور العالم» (مت ٥:١٤)، وكذلك قال القديس يوحنا إن الظلمة لا تُدرِك النور (يو ١:٥). فلا الشيطان ولا كل أعماله يمكن أن يقتحم إنسان الله الجديد لأنه يحيا بقوة الله. ولَمَّا قال المسيح إن الأعمال التي يعملها هو يعملونها هم أيضاً وأكثر منها (يو ١٤:١٢)، هذا لأن الروح القدس يُعطي القوة العاملة بالمسيح. كذلك فإن الرّوح القدس يجعل كلمة المسيح والإنجيل ذات قوة وفاعلية، ومَنْ ينطقها يكون هو نفسه رسالة حيَّة من الله: «ظاهرين أنكم رسالة المسيح... مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحيّ.» (٢كو ٣:٣)

ومن أهم علامات حلول روح المسيح، الفرح الدائم الذي وَعَدَ به: «اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يو ١٦:٢٤). والقديس بطرس يقول كمجرِّب: «لأن روح الله والمجد يحلُّ عليكم» (١بط ٤:١٤). وهكذا كما نشترك في الآلام مع المسيح، نفرح لأننا سنشترك معه أيضاً في المجد (١بط ٤:١٣). والإنسان الجديد محسوب أنه ابن روح الموعد القدوس (أف ١:١٣). ويؤكّد بولس الرسول مصلّياً: «كي يُعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم.» (أف ١:١٧و١٨)

كل هذه النِّعم والعطايا هي ميراث الإنسان الجديد في هذا العالم، موهوبة مجاناً، مُضافاً إليها عمل الروح القدس الذي وضعه الله فينا كالعربون الذي ينتظر المؤمن كيف يهبه في اليوم الأخير جسداً روحياً سماوياً يحيا به إلى الأبد. ويقول بولس الرسول إن الله نفسه هو الذي منح الإنسان الجديد هذه المنحة: «ولكن الذي يُثبِّتنا معكم في المسيح، **وقد مسحنا، هو الله الذي ختمنا أيضاً، وأعطى عربون الروح في قلوبنا.**» (٢كو ١:٢١و٢٢)

(٢١/١٢/١٩٩٨)

الإنسان الجديد
ومدح مجد نعمة الله

■❖✞❖■

واضح من استعلان بولس الرسول من جهة تدبير الله الأزلي قبل تأسيس العالم، كيف باركنا الله كخليقة جديدة في المسيح بكل بركة روحية في السماويَّات (أف ١: ٣). ولكن وَضَع علينا خدمة سماوية كخدمة الخلائق الروحية العُليا، إذ جعل غاية خلقتنا الجديدة التي نالت كل بركة روحية في السماويَّات أن تقف أمام الله بحالة قداسة وبلا لوم في مفاعيل المحبة التي رفعت عن خلقتنا الأولى كل عوائق القداسة وكل ملامة (أف ١: ٤).

ولكن الأكثر تركيزاً في تعيين حدود ونوع الخدمة هو ما أوضحه بولس الرسول بقوله إن الله وهبنا حسب سَبْق تدبيره حالة تبنِّي لله في المسيح: «إذ سَبَقَ فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرة مشيئته» (أف ١: ٥). وكان القصد من هذا التبنِّي السعيد لله الذي نلناه بواسطة يسوع المسيح هو لكي يكون لنا قدرة وسلطان ودالة أمام الله لمدح مجد نعمته؛ لأنه بأي كيفية وبأي استحقاق نستطيع أن نقف أمام الله لنمدح مجد نعمته إن لم يهبنا حالة البنين ليكون نطقنا بالمدح عن وعي وصدق الأبناء!؟

وهنا نرجع لنفحص حالة التبنِّي التي أنعم الله بها علينا، فنكتشف أنها هي بعينها حالة الخلقة الجديدة التي وهبها لنا الابن الوحيد المتجسِّد، يسوع المسيح، من جسده وفي جسده القائم من بين الأموات!

هذه الخليقة الجديدة التي نالت في المسيح وبالمسيح حالة التبنّي للآب صارت مقدَّسة حقًّا وبلا لوم في المحبة، وهي القادرة كونها ملتحمة بالمسيح وناطقة بفمه أن تمدح عن جدارة مجد نعمة الله هذه التي أنعم بها علينا في المحبوب.

وهنا لا يقتصر الحمد على "نعمة الله"، بل يزيد ليكون الحمد على "مجد نعمة الله"، لأنها نعمة متفوقة جداً في المجد، إذ اعتبرتنا ـ نحن أنفسنا ـ لا متبنِّين فقط، بل متبنِّين في المسيح الابن المحبوب؛ أي صارت لنا نفس دالة الابن المحبوب التي عبَّر عنها المسيح من جهته قائلاً: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو ١٧:٢٢). وهذه إحدى أسرار الخلقة الجديدة التي نلناها، كونها حائزة على "شركة في مجد الابن".

ولكي نفهم القصد المبارك من هذه الشركة يقول المسيح: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، **ليكونوا واحداً** كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مُكمَّلين إلى واحد» (يو ١٧:٢٢و٢٣). هنا يضمُّنا الابن بحالة سريَّة جداً إلى شركة في المجد الخاص به توطئة إلى تكميل الوحدة معه بحال لا يعطِّل الوحدة القائمة بينه وبين الآب. وطبعاً القصد من ذلك هو نيل مخصَّصات الابن التي تؤهِّلنا للحياة الأبدية أمام الله، وأهمها المحبة التي ركَّز عليها المسيح في صلاته الأخيرة للآب في إنجيل القديس يوحنا: «وعرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم.» (يو ١٧:٢٦)

لاحِظ هنا كيف يربط المسيح بين أن يكون في خليقته الجديدة حب الآب له، وبين أن يكون المسيح فينا. فهو قد سبق وأعطانا المجد الذي أعطاه له الله الآب لنكون واحداً فيه، والآن يلح على الآب أن يكون لنا أيضاً حب الآب الذي أحبَّ به الآبُ الابنَ.

واضح هنا جداً الذخيرة الإلهية التي احتوتها الخليقة الجديدة في المسيح، إذ

حازت بنوع فائق الوصف على "المجد الذي للمسيح" و"الحب الذي للمسيح". من هنا أصبح من واجبات الخليقة الجديدة للإنسان - كما يذكر بولس الرسول بحسب استعلان الله الأزلي - مدح مجد نعمة الله التي أنعم بها علينا في المحبوب، من واقع التبنِّي الذي سبق الله فعيَّننا له بيسوع المسيح، لا كعطية وإنعام خارجاً عن نفسه، بل كما حدَّدها بولس الرسول أنها لنفس الله ولمسرَّة مشيئته.

فنحن كأبناء متبنِّين، لنا في نفس الله مكانة خاصة؛ بل وفي دائرة مسرَّة مشيئته نعيش. من هنا تصبح قدرتنا في مدح مجد نعمة الله التي أنعم بها علينا في المحبوب مستمدة من الله كأخصاء، لنا في الله موضع مسرَّة، وتجعل لمديحنا واقعاً وكياناً في دائرة ما لله.

والذي يزيد من قيمة مديحنا لمجد نعمة الله أنه مطلب الله لنفسه ولمسرَّته الذي من أجله وهبنا نعمة التبنِّي بيسوع المسيح. فنحن الخليقة الجديدة في المسيح ذات وجود مطلوب أمام الله، وذات اعتبار، ومديحنا هو لمسرَّة مشيئته. والمجد الذي أعطانا المسيح هو عينه المجد الذي أعطاه له الآب، وقد أعطاه لنا، لا ليزيد من قدرنا، بل ليزيد من قدرتنا على الالتحام به، وهو نفسه الذي يُنشئ فينا قدرة المديح لمجد الآب. فنحن لا نمدح من فراغ ولا من أنفسنا، فإن كان لائقاً وواجباً أن نمجِّد الآب، فهذا من فيض نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب، ومن شركة المجد الذي أعطانا المسيح؛ فإذا امتنعنا نكون قد عطَّلنا نعمة الله وخذلنا مجد المسيح.

هذا ما سُرَّ الله أن يعمله لنا منذ الأزل وقبل تأسيس العالم، واستطاع المسيح الابن المحبوب أن يكمِّل كل مسرة مشيئة الآب من نحونا، فكلَّفه ذلك طاعةً حتى الموت، موت الصليب؛ فكان رد الآب أن أقامه وأقامنا معه وتمَّت

كل مشيئة الآب ومسرته نحونا.

نعم لقد صار، وصار في يدك، ومسرَّة مشيئة الله فيك، إذ قد وهبك التبنّي لنفسه شخصياً حتى يسمع منك مديح مجد نعمته التي أنعم بها عليك في المحبوب، الذي طالب إسرائيل في القديم أن تسمع له ولم تسمع؛ هو نفسه يترجّى أن يسمع منك، لا لأنه كان محتاجاً لإسرائيل قديماً ولا هو محتاج لك الآن. ولكن وضح وضوح الشمس أن إسرائيل هي التي كانت محتاجة إليه وكان ذلك هيِّناً عليها، فرَفضت؛ فرُفضت ونزلت إلى المذلة والتراب. فالآن انظر، فأنت المحتاج أن تُسْمِعه صوت مديحك، وهذا هيِّن عليك لو أردتَ. تسبِّحه تسبحة مجد يدوم، لا عن تفضُّل، بل عن حاجة تُفصح بها عن هويَّتك الجديدة.

نعم، لقد صار هذا وصار لنا ما سُرَّ الآب أن يكون لنا. نعم، صرنا أبناء الله الآب بالتبنّي في المسيح يسوع، أي أننا اشتركنا في بنوَّة المسيح للآب. فكما أخذ جسدنا أخذنا جسده، وأصبح يحيا فينا ونحن نحيا فيه. والمسألة مسألة إيمان حيّ، لأن الأمر قد صار وانتهى على الصليب وبالقيامة. فعطية الآب عطية عامة لأن المسيح ذاق الموت بنعمة الله **من أجل كل واحد** (عب ٩:٢)، فنفض **عن كل واحد** فينا الإنسان العتيق الترابي، وخلق لنا في جسده القائم من بين الأموات خليقة جديدة لإنسان جديد **لكل واحد فينا** أيضاً. فالمسألة مسألة إيمان حيّ بالذي تمّ من أجل كل واحد.

وفي هذا يقول المسيح (ونرجو تصحيح الآية على الأصل اليوناني):

+ «لذلك أقول لكم: كل ما تطلبونه حينما تُصلّون، فآمنوا أنكم **نلتموه** that you have received it = ὅτι ἐλάβετε، فيكون لكم.» (مر ١١:٢٤)

هنا الإيمان بعمل الله باعتبار أنه تمّ، لأن الإيمان هو الثقة بما يُرجى، فإذا

وثقنا بكلام المسيح وفِعْل الآب ننال ما صنعه الآب والمسيح من أجلنا.

وهكذا نستطيع أن نقول بملء الثقة إننا خليقة جديدة، وإننا أبناء الله الحيّ في المسيح؛ وهذا يقتضي منّا كأبناء أن نقدِّم تسبيح الحمد لمجد نعمة الآب التي أنعم بها علينا في المحبوب.

نقول: كيف وبماذا أمدح مجد نعمة الله؟ أقول لك: إنها طبيعة الخليقة الجديدة، وقد صار لك لسان الابن الذي وُلِد جديداً لله من جسد المسيح. والمسيح يقول: «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني»، فعطية المسيح لنا قائمة فينا، لأن مجد الابن صار من صميم طبيعتنا. فكما يقول سفر العبرانيين: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع... لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومُغتسلة أجسادنا بماء نقي... فلنقدِّم به في كل حين لله **ذبيحة التسبيح**، أي ثمر شفاه مُعترفة باسمه» (عب ١٠: ١٩و٢٢؛ ١٣: ١٥)، وكما يقول المزمور: «أَفْغِرْ فاك فأملأه» (مز ٨١: ١٠). فتسبيح الله هو عمل الله، ومدح مجد نعمته هو من عمل النعمة. يكفي أنك أصبحت شريك الابن في ما له لتسبِّح الله أباه وتعطيه ما له.

لقد شاركنا السمائيين لَمَّا أقامنا المسيح وأجلسنا في السماويات معه، فأصبحت السموات موطننا، ولغتها لغتنا، وتسبيحها تسبيحنا. والكنيسة تعيش حقيقة السماء وتسبيحها حينما تهتف هتاف الحياة والنصرة حينما تقول:

[**الذي أعطى الذين على الأرض تسبيح السيرافيم**، اقبل منّا نحن أيضاً أصواتنا مع غير المرئيين، احسبنا مع القوات السمائية. ولنقل نحن أيضاً مع أولئك إذ قد طرحنا عنّا كل أفكار الخواطر الشريرة، ونصرخ بما يُرسله أولئك بأصواتٍ لا تسكت وأفواهٍ لا تفتر، ونبارك عظمتك.]

(القداس الغريغوري)

هكذا لَمَّا لَبِسَ ملك السماء جسدنا وقام بنا صاعداً وافتتح لنا السموات وأدخلنا إلى أبيه، لم نَعُدْ غرباء عن تسبيح السمائيين إذ قد صرنا ضمن صفوفهم. فقد تحقّق عمل الله الآب فينا الذي وضعه في الأزمنة الأزلية أن نكون حقًّا قدِّيسين وبلا لوم أمامه، إذ عيَّننا سابقاً للتبنِّي في المسيح لنفسه حسب مسرَّة مشيئته. وها الكنيسة تحقّق هذا الوعد وتمدح مجد نعمته ـ كمطلب الآب ـ تلك النعمة التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة في المحبوب.

والقديس بولس يسبق هو أيضاً ويستعلن سر الكنيسة وما أدركته في المسيح كما وضعه الله منذ الأزل ويقول: «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات، بواسطة الكنيسة، بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف ٣:١٠و١١). إذن، فهي حقائق لخليقة سماوية.

فليس سرًّا بعد أننا نعيش خليقة جديدة لها السموات موطناً، وتسابيحها تسابيح السيرافيم لمدح مجد نعمة الله التي أنعم بها علينا في المحبوب. فكل ما أراده الله كان.

(١٩ سبتمبر ١٩٩٨)

مخاض الإنسان الجديد

«يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم»

(غل ٤ :١٩)

■❖✞❖■

واضح من كلام بولس الرسول أن "تصوُّر المسيح فينا" إنما يُقصد بـه ميـلاد الإنسان الجديد الذي هو على صورة خالقه يسوع المسيح. وهذا المبدأ اللاهوتي في التجديد يقوم علـى آيتـين: **الأولى**: «لأننـا نحـن عملـه، **مخلوقـين في المسـيح يسوع لأعمال صالحة**، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسـلك فيهـا» (أف ٢ :١٠)؛ **والآية الثانية** التي تكشف انطباق صورة الإنسان الجديـد علـى صـورة المسـيح: «ولبستم الجديد الذي يتجدَّد **للمعرفة حسـب صـورة خالقـه**» (كـو ٣ :١٠). أما تحديد الصورة فهي محـدَّدة بالـبر وقداسـة الحـق حسـب الآيـة: «وتتجـدَّدوا بروح ذهنكم، وتَلْبَسُوا الإنسان الجديد المخلـوق بحسـب الله **في الـبر وقداسـة الحق.**» (أف ٤ :٢٣و٢٤)

وأيضاً واضح من الآيتين الأخيرتين أن الصورة التي للإنسان الجديد إنما تأخذ تحديدها في البر وقداسة الحق عـن طريـق "التجديـد للمعرفـة"، وذلـك بتجديـد روح الذهن أو بتجديد الذهن روحياً «وتتجدَّدوا بروح ذهنكم».

وكما رأينا أن الإنسان في المعمودية يلبس المسيح باعتباره الإنسـان الجديـد: «لأن كلّكم **الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح**» (غل ٣ :٢٧)، كذلـك هنا أيضاً نجد أن عملية تجديد الذهن إنما تـؤدِّي إلى لِبْـس المسـيح كـالذي تمّ في

المعمودية، إنما هنا عن إرادة وفهم ومعرفة روحية: «**وتتجدَّدوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد**»، بمعنى أن المسيح الذي لبسناه بالسر في سر المعمودية نستعلنه بالمعرفة بتجديد روح ذهننا.

وهذه قضية بولس الرسول معنا، أي أنه يتمخَّض بنا مخاض الألم ووجع الولادة حتى يتصوَّر المسيح فينا، وذلك بإعطاء كل ما يخص تجديد الذهن بالروح للتعرُّف على شخص المسيح الذي سكن فينا بالمعمودية، باعتباره الإنسان الجديد أو الخلقة الجديدة بالروح التي منحها لنا الله بواسطة ابنه الوحيد.

والسؤال الآن: ما هي هذه الآلام التي تشبه آلام المخاض عند الولادة حتى يتصوَّر المسيح فينا؟ يلزمنا هنا أولاً أن نعود إلى التساؤل: مِمَّا يولد الإنسان بالجسد؟ نجد أنه من التصاق رجل بامرأة ليكونا بالزيجة جسداً واحداً. فإذا عُدنا إلى الروح نجد أنها تبدأ بالالتصاق بالرب يسوع حسب الآية: «وأما مَن التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو ٦:١٧). ثم نأتي إلى كيفية الالتصاق بالرب يسوع لنصبح معه روحاً واحداً، لأن هذا كفيل بالدرجة الأولى أن يعطينا شكل أو صورة المسيح في البر وقداسة الحق. على أننا لا ننسى أن أساس الموضوع كله في أن المخاض الذي يتم به تصوُّر المسيح فينا، هو عملية تخليق، كتخليق الجنين في البطن. فكما أن التصاق الرجل بامرأة يُنشئ جسداً واحداً ينتهي إلى خلقة جسد على صورة الرجل والمرأة؛ هكذا الالتصاق روحياً - للإنسان الذي اعتمد بالمسيح - يُنشئ مع المسيح روحاً واحداً هو روحنا الجديدة أو إنساننا الجديد الذي على صورة خالقه. إذا فهمنا ذلك جيداً نعود إلى كيفية الالتصاق بالرب يسوع لنكون معه روحاً واحداً، لأنه سيكون فيها كل أمل ورجاء أن نأخذ صورة المسيح في البر وقداسة الحق.

ولا يمكن شرح الالتصاق بالرب لنكون معه روحاً واحداً، الذي يهبنا صورة المسيح خالقنا في البر وقداسة الحق، إلاّ بالصورة التي قدَّمها بولس الرسول، وهي خطبة العذراء لرجل أي المسيح: «فإني أغار عليكم غيرة الله، لأني **خطبتكم لرجل واحد، لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح.**» (٢كو ١١: ٢)

إذن، الالتصاق بالرب هو في حقيقته الروحية زيجة مقدسة حيث يتّحد المسيح بنا اتِّحاداً روحياً صادقاً، فنصير بالتالي معه روحاً واحداً.

والآن، على أي أساس يقدِّمنا بولس الرسول إلى المسيح كعذراء عفيفة، بمعنى يُدخلنا إليه في زيجة مقدسة؟ لقد سبق وأفصح بولس الرسول عن ذلك في رسالته إلى أهل أفسس قائلاً: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته، **ويكون الاثنان جسداً واحداً**. هذا السر عظيم، ولكنني أنا أقول من **نحو المسيح والكنيسة**» (أف ٥: ٣١و٣٢). والكنيسة نحن، ونحن جسده: «وبيته نحن.» (عب ٣: ٦)

هنا القديس بولس يستمد لاهوته الحيّ من العهد القديم في تجلِّيات ورؤى إشعياء النبي فيما يخص شعب إسرائيل في مستقبله السعيد كإسرائيل الجديد الذي هو بعينه الكنيسة، حينما رفع رؤياه إلى ما بعد رذل إسرائيل التي خانته مُخاطباً إيَّاها: «أين كتاب طلاق أُمكم» (إش ٥٠: ١)! ليرى الصليب وما بعده:

+ «لا تخافي لأنكِ لا تَخزَيْن، ولا تخجلي لأنكِ لا تسْتَحِين. فإنك تنسين خِزْي صباكِ، وعار ترمُّلِكِ لا تذكُرينه بعد. لأن بعلك (زوجكِ) هو صانعك ربُّ الجنود اسمه، ووليُّكِ قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدْعَى.» (إش ٥٤: ٤و٥)

وأيضاً:

+ «كفرح العريس بالعروس يفرح بكِ إلهُكِ.» (إش ٦٢: ٥)

النبوَّة هنا منصبَّة على إسرائيل الجديد في فكر إشعياء الذي سبق وأنبأ بهذا العريس عينه حينما قال: «ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (الذي تفسيره الله معنا)» (إش ٧: ١٤)، أو حينما قال: «لأنه يولَد لنا ولد ونُعطَى ابناً، وتكون الرياسة على كَتِفِهِ، ويُدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً، قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام.» (إش ٩: ٦)

وهكذا تنبَّأ إشعياء بزيجة يهوه لإسرائيل فوقعت النبوَّة عند القديس بولس ليستعلن سرها في المسيح العريس والكنيسة العروس، التي صارت جسده وجسده نحن، الذين يُخاطبنا القديس عن جسارة: «فإني أغار عليكم غيرة الله، لأني خطبتكم لرجل واحد لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح».

أما من أين جاءته هذه الغيرة الإلهية؟ فهي لأن المسيح نفسه قد فدانا بدمه الذي سقانا إيَّاه فصار من جهته "عريس دم" لنا. فكيف لا يَغِير علينا القديس بولس غيرة الله نفسه، فالزيجة تمَّت باتحاد الجسد والدم.

إذن، فليس من فراغ يخطبنا القديس بولس للمسيح، فقد سبق المسيح ومسحنا بدمه بل وسقانا إيَّاه فدخلنا في عهد وسر الاتحاد. فأصبحت مشقة القديس بولس وعناؤه وصبره في كيف يفتح أعيننا لندرك سر دم المسيح فينا، الغاسل والمقدِّس والقائم فينا بمثابة عقد زواج؛ فكان أجمل تعبير عبَّر عنه القديس بولس في استعلان ما عمله المسيح بدمه من أجلنا أنْ قال: «يا أولادي، الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم». لأن اضطلاع القديس بولس **باستعلان المسيح فينا هكذا "بدم صليبه"، هو بعينه مخاض الميلاد لإنساننا الجديد حاملاً صورة المسيح** الذي تمَّ بالفعل على يدي القديس بولس على مدى الأربع عشرة رسالة.

"إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم":

لاحِظ أن مخاض القديس بولس سيستمر حتى يتصوَّر المسيح فينا. أما هذا المخاض فهو حمْل همٍّ استعلان سرِّ الدم، دم ابن الله على الصليب لنُمسح به ونتطهَّر ونصير عذراء عفيفة للمسيح. نُمسح به لتضمحل قوة الخطية منَّا إلى الأبد، فيُنحَّى الإنسان العتيق ويُترك للإنسان الجديد مجال **التخليق بسقي الدم.** ودم صليب المسيح **دم فدية،** فدية من حبوس وقيود موت الخطية للإنسان العتيق إلى سعة الحياة في المسيح للإنسان الجديد لقبول حياة المسيح فيه، فيتجدَّد على صورته في القداسة والبر، لأن هذا هو قانون العهد الجديد: «وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: **اشربوا منها كُلُّكم،** لأن **هذا هو دمي الذي للعهد الجديد** الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا.» (مت ٢٦: ٢٧و٢٨)

أما كيف يتشكَّل أو يتصوَّر المسيح فينا، فواضح أنه كما يتشكَّل ويتصوَّر الجنين في بطن أمه بواسطة الدم الذي يمتصه من أمه بواسطة الحبل السُّرِّي حتى يكتمل شكله ونموه إلى التمام ليولد؛ هكذا حينما **نستقي** بالروح – ونحن بمجرد أجنَّة بالإيمان – دم المسيح، الذي حياته فيه، فنستمد منه **بالروح القدس حياة المسيح وكل ما للمسيح** حتى يتصوَّر المسيح فينا حيًّا. وهذه هي وظيفة بولس الرسول الذي **أمدَّنا بالروح والإنجيل** كل ما للمسيح بالاستعلان حتى اكتملت مداركنا وأخذنا الشكل فينا كسرٍّ.

أما ما هو اكتمال الشكل الذي للمسيح فينا فهو "البر وقداسة الحق" حسب الآية: «وتتجدَّدوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٣و٢٤). وهذا كل امتياز عمل بولس الرسول الذي لم يُدانيه فيه إنسان آخر باعترافه، لا عن فخر بل عن حق وتحقيق: «بسبب هذا أنا بولس، أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم، إن كنتم قد سمعتم بتدبير **نعمة الله المُعطاة لي لأجلكم. أنه بإعلان عرَّفني بالسرِّ...** الذي

بحسبه حينما تقرأونه، تقدرون أن تفهموا **درايتي بسر المسيح**... أُعطيت هذه النعمة... **وأُنير الجميع في ما هو شركة السر** ـ المكتوم منذ الدهور ـ **في الله** خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف ٣:١ـ٤و٨و٩)

واضح أن القديس بولس قد أُعطي نعمة خاصة من الله هي استعلان سر المسيح وقوته وإعلانه لإنارة عقولنا وتمكين قلوبنا لاستيعاب **شركة السر في الله كمخلوقين جديداً في المسيح يسوع!** فهنا خلقة جديدة لنا بدم المسيح صيَّرتنا شركاء في المسيح والله كمخلوقين في المسيح ـ وهو سر استلمه بولس الرسول وسلَّمه لنا ـ بحسب الله في البر وقداسة الحق كعطية فائقة موهوبة تتم بواسطة الاستعلان الذي يستقر على مستوى الحقيقة والفعل في أعماق كياننا الروحي الجديد، فيعمل عمله بتجديد روح ذهننا، أي ذهن الإنسان الجديد الروحي الذي إذا اكتمل بالإنجيل كفيل بأن يلبسنا المسيح نفسه الذي هو الإنسان الجديد المخلوق بحسب تدبير الله بمنح برِّه الشخصي وقداسة الحق الذي فيه: «**وتتجدَّدوا** بروح ذهنكم، **وتلبسوا** الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق».

الدعوة هنا لذوي الإيمان والثقة في ما يقوله الروح على فم القديس بولس بالاستعلان. والسرُّ هنا سر اجتراء على الله بالحب في قداسة الحق بالإيمان بحسب ما وعد الله ودعا وضَمِنَ ما وعد به بالمسيح. هنا يتحتَّم أن ينبري الإيمان وجراءة الضمير، لأن بعد ما كشف القديس بولس السر المكتوم الذي هو "الشركة في الله بالمسيح" قالها صريحة صارخة: «الذي به لنا **جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة**» (أف ١٢:٣)، أي أنها أصبحت من نصيب الإيمان والجراءة. والأمر هنا لا يحتاج إلى تفسير أكثر من هذا ، فالذي له جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة هو هو الذي سيدخل في سر التجديد بروح ذهنه ويلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق، ليؤهَّل إلى الشركة العُليا في الله خالق الجميع بيسوع المسيح.

والقديس بولس لا يتركنا إلى إيماننا دون إلهاب وتأييد معتمداً على غِنَى مجد الله، إذ يُصلِّي ويسجد: «لكي يُعطيكم **بحسب غِنَى مجده، أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن** (الجديد)، ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣:١٦و١٧). والقصد هو أن «**تمتلئوا إلى كل ملء الله**» (أف ٣:١٩). **لأن هذه هي الشركة في الله** بالخلقة الجديدة في المسيح يسوع. إنها أمر يزلزل الفكر؛ أما الواثقون بوعد الله والماسكون بسر المسيح - الذين استقوا الدم - والذين لهم جرأة نحو الله بدالة صليب ابنه ودمه، فيتخطون العقل ويلقون رجاءهم على الله فيدخلون. وهنا نكون قد بلغنا: "ادخل إلى فرح سيِّدك".

(أبريل ١٩٩٨)

الختان في العهد القديم، والخليقة الجديدة في العهد الجديد

+ «لأنه في المسيح يسوع **ليس الختان** ينفع شيئاً ولا الغُرْلَة، بل **الخليقة الجديدة.**» (غل ٦:١٥)

□●✝●□

كان الختان في العهد القديم هو "عهد الله في لحم إبراهيم" وأبنائه من بعده: «فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً» (تك ١٧:١٣). وكان الختان في مفهومه التقديسي ينحصر في قطع الغُرْلَة من عضو التذكير للطفل ابن ثمانية أيام، أي كان بتعبير بولس الرسول: خلع نجاسة الجسد بالمفهوم الجسدي.

ولكن الختان في العهد القديم لم يُعطِ أية هبة أو قوة أو نعمة على حياة أو سلوك القداسة، لأن الخطية كانت رابضة في الجسد تعمل بسلطان فوق استطاعة إرادة الإنسان، فكان الإنسان مستعبَداً للخطية كما يقول بولس الرسول:

+ «فإننا نعلم أن الناموس روحي، وأما أنا فجسديٌّ مَبِيعٌ تحت الخطية. لأني لستُ أعرف ما أنا أفعله، إذ لستُ أفعل ما أُريده، بل ما أُبغضه فإيَّاه أفعل... فالآن لستُ بعد أفعل ذلك أنا، بل الخطية الساكنة فيَّ... **فإن كنتُ ما لستُ أُريده إيَّاه أفعل**، فلستُ بعد أفعله أنا، بل الخطية الساكنة فيَّ... ويْحِي أنا الإنسان الشَّقي! مَنْ يُنقذني من جسد هذا

الموت؟ أشكر الله بيسوع المسيح ربِّنا...
إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع... لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع (بالقيامة من بين الأموات) قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.» (رو ٧:١٤-٢٥؛ ٨:١و٢)

هنا إعطاء روح الحياة في المسيح يسوع بالقيامة من بين الأموات تخطَّى الجسد بالخطية الساكنة فيه، وتخطَّى بالتالي عملية الختان في الجسد التي لم تُعطِ أية قوة ضد الخطية، بل تخطَّى ناموس موسى.

والمقابل الذي له في الختان بديع، لأن إبراهيم كان في الغرلة لَمَّا آمن بالله، والله حسب له إيمانه برًّا وهو لا يزال في الغرلة، ثم أعطاه الله من عنده علامة الختان كتصديق من طرفه لبر إيمان إبراهيم. وهذا يقوله بولس الرسول بوعي بديع في رسالته إلى أهل رومية: «لأننا نقول إنه حُسِبَ لإبراهيم الإيمان برًّا. فكيف حُسِبَ؟ أَوَهُوَ في الختان أم في الغُرْلة؟ ليس في الختان، بل في الغُرْلة! وأخذ علامة الختان ختماً σφραγῖδα لبرِّ الإيمان الذي كان في الغُرْلة» (رو ٤:٩-١١). هكذا أصبح الختان في لحم إبراهيم بمثابة ختم أو إمضاء أن إبراهيم حاز على حالة البرِّ من قِبَل الله دون أن يكون له أي أعمال ناموسية.

هكذا في عطية الخليقة الجديدة للإنسان الذي يؤمن بالله وما عمله في المسيح، إذ بذله للموت حاملاً خطايانا في جسده مكفِّراً عن خطايانا جميعاً بدم صليبه، فألغى خطية الإنسان ووفَّى عقوبة الموت واللعنة، فقام الإنسان فيه من الموت خليقة جديدة غالبة الخطية والموت ووارثة الحياة الأبدية معه: «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله.» (كو ٣:٣)

فأصبح **الإيمان بالمسيح** وبموته وقيامته بالنسبة لنا الآن - ونحن في الجسد العتيق مائتين في خطايانا منجَّسين بأعمالنا: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع

المسيح - بالنعمة أنتم مُخلَّصون - وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويَّات في المسيح يسوع، ليُظهِرَ في الدهور الآتية غِنَى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع. لأنكم بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» (أف ٢:٥-٩) - هذا الإيمان بالمسيح يُحسب لنا كحالة برٍّ من الله كبرِّ المسيح، ثمنه هو الخليقة الجديدة عينها التي قام المسيح حاملاً لها. فهو يُحسب بمثابة ختم بر الإيمان في حال الختان الذي ناله إبراهيم وهو في الغرلة أي في حالة نجاسة جسدية بدون أعمال! لأن الذي حدث بموت المسيح وقيامته هو أنه ألغى **الجسد العتيق** بكل خطاياه جملة: «... أن إنساننا العتيق قد صُلب معه...» (رو ٦:٦)، «أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟ أما شوكة الموت فهي الخطية» (١كو ١٥:٥٥و٥٦)، إذ أماته موتاً، وأمات الخطية فيه والعقوبة المفروضة عليه قديماً بخطية آدم. وهكذا بالقيامة من بين الأموات انتهى زمن الجسد العتيق وخرج من تحت غضب الله باعتباره خليقة ترابية عجزت عن أن تُرضي الله. وقام المسيح بجسده الذي قام به من بين الأموات ونحن فيه، بعد أن وفَّى العقوبة واللعنة بالموت مصلوباً، وبعد أن صالح الإنسان الآدمي بالله، بأن أعطاه جسداً جديداً كخليقة ثانية روحية من السماء من جسده، من لحمه وعظامه، الذي أراه لتلاميذه بعد القيامة. وهكذا وُلِدت الخليقة الجديدة للإنسان بقيامة المسيح من بين الأموات لحياة أبدية.

وهكذا حلَّ الإنسان الروحاني الجديد كخليقة جديدة أمام الله محل الختان الذي أُبطل مع الإنسان العتيق.

ولكن ظلَّ الختان كعملية خلع الجزء النجس من جسم الإنسان شديد التأثير في ذهن القديس بولس كتشبيه استخدمه للتعبير عن **خلع الإنسان العتيق بجملته وخطاياه ونجاساته فيه**، بأخذ الخليقة الجديدة بقيامة المسيح من بين

الأموات: «**إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله**، ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو ٣:٩و١٠)

ويُلاحظ هنا أن الإنسان الذي خلقه المسيح جديداً بقيامته من بين الأموات هو على صورة خالقه التي بالروح القدس تزداد من مجد إلى مجد، علماً بأن صورة الله التي أخذها آدم في خلقته الأولى قد تفتتت وانطمست بسبب الخطية.

وقد كان الختان في نظر القديس بولس ـ كيهودي ـ شديد الأثر في نفسه حتى اعتبر الخليقة الجديدة بجملتها كختان جديد غير مصنوع بيد، سماوي، ألغى بمفعوله ختانة الجسد: «**وبه أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيدٍ، بخلع جسم خطايا البشرية**» (كو ٢:١١). كما اعتبر بولس الرسول أن المعمودية بالماء والروح القدس لها نفس الأثر الذي صنعه الموت، والذي صنعته قيامة المسيح من بين الأموات فينا: «مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أُقِمتُم أيضاً معه بإيمان عمل الله، الذي أقامه من الأموات» (كو ٢:١٢)، باعتبار أن الدفن في ماء المعمودية يمنحنا نفس الموت السرِّي في موت المسيح، ثم قيامتنا من الدفن في الماء تمنحنا نفس سر القيامة مع المسيح.

ونحن لو نظرنا إلى موضوع الخليقة الجديدة بفكر القديس بولس اليهودي أصلاً وهو يضعه في المقابل المُلْغي للختان، نُدرك العمق الواقعي اللاهوتي للخليقة الجديدة في مجال العهد، لأن الختان كان يُمثِّل القيمة القصوى لأي إنسان يهودي بالنسبة إلى تبعيته ليهوه العظيم أو كفرد من الشعب المختار، بحيث أن غير المختون كان محسوباً أنه لا يدخل العهد ولا ينتسب لإبراهيم أب الآباء بالتالي، فيكون غير المختون مرفوضاً من الله ومن الشعب. هنا نجد أن القيمة اللاهوتية والاجتماعية للختان في العهد القديم قد بلغت أقصاها.

على هذا القدر والمستوى صارت الخليقة الجديدة عند القديس بولس. فهي

علامة العهد الجديد، وهي بحد ذاتها تبعية مطلقة ليهـوه ومانحـة لهويَّـة الإنسـان عامة، كل مَنْ آمن وقَبِلَ موته مع المسيح وقيامته معه. وليس هذا فقط، بـل إن الخليقة الجديدة في المسيح يسوع استطاعت أن تلغي لا الختانة فقط، بل والعهـد القديم (من حيث رموزه وذبائحه وفرائضه وأحكامه). هذا هـو مضمـون قـول بولس الرسول إنه ليس ختانة في المسيح يسوع بل خليقة جديدة.

وتمتد هذه المقولة الهامة جداً في اعتبار بولس الرسول لتفكَّ الحصـار المضـروب على الأمم ليكونوا شركاء في ميراث الابن الوحيد لله وليكونوا شعباً مختاراً لله بـلا تفريق، وهو السر الذي كان مكتوماً وكشفه الله لبولس الرسول ليكـرز بـه بإنجيلـه الجديد بين الأمم أن لا ختـان ولا سبت ولا نـاموس بعـد، وهـوذا الكـل قـد صـار جديداً، كل مَنْ يؤمن بموت المسيح وقيامته، ليقبل غفران خطايـاه، بتمزيق الصـكّ المكتوب على بني آدم جملة الذي سمَّره المسيح على الصليب بتسـمير الجسـد، ووفّـى عن كل مَنْ آمن به عقوبة الموت واللعنة، ووهبه الخليقة الجديـدة للإنسـان بالقيامـة من بين الأموات.

وبناءً عليه أصبح كل مَنْ يؤمن ولا يقبل الخليقة الجديدة، يبقى عليه غضـب الله، وتبقى عليه بالتالي خطاياه وعقوبـة اللعنـة والمـوت، ولا تنفعـه ختانـة ولا غرلة. وفي المقابل يصبح مَنْ يؤمن ويصدِّق المسـيح وينـال فيـه الخليقـة الجديـدة بشركة الموت والقيامة المحسوبة أنها الختانــة الجديـدة مـن غـير يـد لخلـع جسـد الخطية مع أعماله ولِبْس الجديد الـذي يتجـدَّد للمعرفـة حسـب صـورة خالقـه، يكون له افتخار ليس كافتخـار اليهـودي بختانتـه، بـل افتخـار مَنْ صـار بهـذه الخليقة الجديدة أعلى من كل خليقة سماوية أخرى ولكن في المسيح.

والأمر الذي نود جداً أن نبرزه أمام القارئ في المقابلة التي وضعناهـا بـين الختـان لإبراهيم والخليقة الجديدة في المسيح، هو **المجانية** المفرطة في مفهومها الـتي جـاءت في

اللغة اليونانية بمعنى الهدية δωρεάν. فكما أعطى ا لله لإبراهيم الختـان **مجانـاً** كختـم أو "إمضاء إلهي" للـبر الـذي منحـه إيَّاه بسـبب إيمانـه بـا لله، هكـذا تماماً مَنَـح ا لله الإنسانَ في العهد الجديد خليقته الجديدة **مجاناً** لكل مَنْ يؤمن بالمسيح، جزاءً لإيمانه.

ومرة أخرى لينتبه القارئ من مطلع الآية أن الـبر الـذي وهبـه الله للإنسـان المؤمن هو **مجاني** كعمل **نعمة:**

+ «متبرِّرين مجاناً δωρεάν بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمـه الله كفّارة (ذبيحة تكفير على الصليب) **بالإيمان بدمه،**
لإظهار برِّه (برّ الله بيسوع المسيح للإنسان المؤمن في العهد الجديد)، **من أجل الصفح عن الخطايا** السالفة بإمهال الله، لإظهار برِّه (برّ الله للإنسان الجديد) في الزمان الحاضر (العهـد الجديـد) ليكـون (الله) بـارًّا ويبرِّر مَنْ هو من الإيمان بيسوع.» (رو ٣:٢٤-٢٦)

وينتهي بولس الرسول من هذه المقارنة سواء في إعطـاء الـبر لإبراهيـم، لأنـه آمن بالله **وأُعطِيَ الختانة كختم**، أو إعطـاء الـبر لأي إنسـان في العهـد الجديـد يكون قد آمن بدم المسيح، ومنحه الخليقة الجديدة كختم بر، هكذا:

+ «فأين الافتخار؟ قد انتفى! بأيِّ نـاموس؟ أبنـاموس الأعمـال؟ كـلاَّ! بـل بناموس الإيمان.» (رو ٣:٢٧)

إلى هنا يكون قد انتهـى القديـس بولـس نهايـة بارعـة في موازنـة الختانـة في العهد القديم بالخليقة الجديدة في العهد الجديد. ويكمل قائلاً:

+ «ولكن لم يُكتب مـن أجلـه (أي مـن أجـل إبراهيـم) وحـده أنـه حُسِـبَ لـه (الإيمان برًّا)، بل من أجلنا نحن أيضاً، الذين سيُحسب لنا، الذين نؤمـن بمَـنْ أقام يسوع ربنا من الأموات. الذي أُسْلِمَ من أجل (غفران) خطايانـا وأُقيـم لأجل تبريرنا (بإعطاء الخليقة الجديدة)» (رو ٤:٢٣-٢٥)

وماذا يريد أيضاً أن يقول لنا القديس بولس من جهة الموازنة بين الختان والخليقة الجديدة؟ القديس بولس يريد أن يقول إن إبراهيم **لَمَّا آمن بالله أنشأ بؤرة حيَّة لمجد الله متركِّزة في شخصه هو**، جازاه عنها الله بأن منحه حالة برٍّ δικαιωσύνην، أي تزكية أمام الله كمَنْ اختُبِر ونجح في الاختبار.

هكذا مَنْ يؤمن بالمسيح أن الله قدَّمه ذبيحة كفَّارة للتكفير عن خطايا الإنسان على الصليب، وأنه أقامه من الموت حيًّا لتبرير الخطاة أي تزكيتهم أمام الله؛ **بهذا الإيمان يُنشئ الإنسان بؤرة حيَّة لمجد الله متركِّزة في شخصه هو**، يكون هو نفسه عملها، أي يتقبَّل عمل موت المسيح في جسده للتكفير عن خطاياه، ويتقبَّل عمل التبرير في قيامته، بمعنى أنه يتزكَّى أمام الله: «الذي أُسْلِم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا.» (رو ٤:٢٥)

والمعنى جديد وقوي، وهو أن الإيمان بالمسيح يُنشئ في الإنسان شركة حيَّة في عمل المسيح:

الإيمان بالموت يُنشئ في الإنسان شركة في الموت، والإيمان بالقيامة يُنشئ في الإنسان شركة في القيامة.

هذا هو جزاء الإيمان في المسيح كجزاء الإيمان عند إبراهيم.

الإيمان في الحالتين أنشأ برًّا، ارتد عمله على الإنسان.

البر عند إبراهيم استُعلِن بالختان كعمل للبر، والبر عند المسيح استُعلِن في الخليقة الجديدة كعمل برٍّ:

+ «لإظهار برِّه في الزمان الحاضر، ليكون بارًّا ويُبرِّر مَنْ هو من الإيمان بيسوع.» (رو ٣:٢٦)

(٣ أغسطس ١٩٩٨)

كشف سر ابن الله المملوء سرًّا
والخلقة الروحية الجديدة للإنسان

■❖●❖■

لقب "ابن الله": متى ابتدأ؟ ولماذا؟ وما عمله؟ وهل لعمله نهاية؟ وماذا يكون بعدها؟

ابتدأ هذا اللقب بتلميحات نبوية كثيرة، ولكن استُعلِن بالتجسُّد، والتجسُّد بقصد عملية الخلاص. فابن الله اسم لم يُعرَف إلاَّ بميلاد المسيح. لذلك لا يُعرَف خارج المسيحية، بل هو تجديف عند غير المسيحيين أن يقال إن لله ابناً، لأن ابن الله هو أعلى من عالم الميتافيزيقا، أي أعلى من عالم الإنسان وعالم ما هو خارج الإنسان. لذلك لا يمكن أن يُدرَك في ذاته، ولكن لا يُدرَك إلاَّ في الله. كذلك ابن الله لا وجود له خارج الآب، فلا يُعرَف ولا يُفهَم إلاَّ إذا عرفنا أن الله محبة. ومحبة الله للعالم هي التي جعلت الله يبذل ابنه حتى لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية (يو ٣:١٦).

فالله هو الحب الكامل في ذات كاملة واحدة وحدانية مطلقة، ليس بالواحد العددي، لأن وحدانية الله لا يدخلها التركيب قط، فهي وحدانية صافية صفاء النور والحب، وكل ما عدا الله مركَّب. فالإنسان والملاك والعالم وكل ما للإنسان وما للعالم مركَّب، حتى الواحد العددي مركَّب؛ فإذا رسمت واحداً على ورق فهو ليس واحداً قط بل هو مركَّب من عدة نقط، اتّحدت فكوَّنت الواحد. فالوحدة والواحد في العالم تركيب، لذلك يصعب على ذهن الإنسان ـ وهو مركَّب ـ أن يُدرِك وحدانية الله الفائقة المعرفة. هذا هو الله

عند الإنسان المسيحي: واحد مطلق لا تدنو منه أية شائبة تركيب. فلا كثرة ولا ثنائية ولا أي تقسيم يجوز في اللاهوت.

ولكن ذات الله الواحدة وحدانية مطلقة هي كاملة كمالاً مطلقاً بالحب، فهي ذات مُحِبَّة ومحبوبة بآنٍ واحد. لأنه لو أن الذات مُحِبَّة فقط يكون قد أعوزها أن تُحَبَّ، ولو كانت محبوبة فقط يكون قد أعوزها أن تُحِبَّ. لذلك فالله ذات كاملة بالحب المطلق مُحِبَّة ومحبوبة، وهذا هو كمال المحبة الذي يجعل الله هو المحبة المطلقة التي ينبثق منها كل فعل محبة لكل مَنْ يُحب ولكل محبوب. فالأبوَّة في الله هي القوة المُحِبَّة، والبنوَّة في الله هي القوة المحبوبة؛ والمُحِب مُشخَّص بالآب، والمحبوب مُشخَّص بالابن، وهما المحبة المطلقة.

فالله إذ أحبَّ العالم، وبالحري الإنسان الخاطئ المتألِّم والمعذَّب على الأرض، والذي يشقى بعداوته وإثمه وشرِّه، ولأنه خلق الإنسان على صورته أصلاً لكي يبلغ ملء الكمال؛ أنزل محبته المُشخَّصة في بنوَّته المحبوبة، فتجسَّد ـ دون أن يُفارِق الابنُ الآبَ، لأن الآب والابن هما المحبة الواحدة المطلقة غير المنقسمة قط، وبقِيَ الابن على الأرض في جسد إنسان وهو كما هو في الآب[٤] ملء السموات والأرض، كالقوة المحبوبة في الله ـ وذلك لكي بعملية الفداء وبتبنِّي قضية الإنسان، يضمه إليه فيصبح الإنسان داخل القوة المحبوبة لله، وذلك بالاتحاد بالابن.

فالآن، إن كنَّا قد أدركنا أن الله محبة كاملة مطلقة، مُحِبَّة ومحبوبة، مشخَّصة بالآب والابن، لَزِمَ أن ندرك أن محبة الله هذه ديناميكية أي فعَّالة، الذي يتحتَّم أن يكون لها عمل أي فعل. وهنا انفتح أمامنا سر هذا العمل أو

(٤) أو كما يشخِّص المسيح نفسه ذلك بقوله إنه «الابن الوحيد الذي هو في **حضن الآب...**» (يو ١:١٨)، الذي هو مكان الاحتفاظ بالمحبوب على قدر مستوى فهم ذهن الإنسان.

الفعل حينما قال المسيح: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو ٣:١٦)

ما معنى هذا؟

معناه أن محبة الله الفعَّالة بعد أن خلقت الإنسان على صورة الله كفعل من أفعال محبتها، عادت وصممت أن تُكمِّل خلقة الإنسان بأن ترفعه من مستوى الخلقة الأدنى الترابية التي عجزت عن أن تبلغ كمال قصد خلقة الله بأن تكون على صورة الله، وتمنحه خلقة ثانية جديدة بالروح. هذه الخلقة الجديدة الثانية الروحية استلزمت عملية فداء عُظمى دخل فيها ابن الله عندما تجسَّد أولاً آخذاً كل ما للإنسان المخلوق أصلاً من التراب ـ ليس بأن أضافه عليه بل بأن اتّحد به اتحاداً كليًّا غير مفترق ـ وجاز به الآلام المستحقة كلعنة، ثم جاز به الموت وهي العقوبة النهائية التي منعته من الاستمرار في الحياة، ثم قام المسيح بالإنسان نفسه الذي اتّحد به ومات به **إنساناً جديداً روحياً**، بعد أن عَبَرَ به هوَّة الموت، **كإنسان جديد** متّحد بالمسيح، لا يسود عليه الموت بعد بل يحيا إلى الأبد حياةً هي بعينها حياة المحبة الإلهية الكاملة؛ وهكذا دخل الإنسان مجال الحب الإلهي الكامل.

وهكذا أكمل الابن هذه المهمة العُظمى وأدخل الإنسان دائرة محبة ا لله وضَمِنَ له الحياة الأبدية، ولكن لا يزال دور الخلاص ينتظر استعلان كمال خلاصنا وفدائنا حينما يُستعلن المسيح مرة أخرى، لكي يجمع ابن ا لله الذين يؤمنون به ويوحِّدهم بنفسه لتُقبَل البشرية كلها فيه وتدخل نصيبها الأبدي مع ا لله:

+ «أنا أمضي لأُعِدَّ لكم مكاناً، وإنْ مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكونُ أنا (في حضن الآب) تكونون أنتم أيضاً.» (يو ١٤: ٢و٣)

+ «وعرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به،

وأكون أنا فيهم.» (يو ١٧:٢٦)

+ «ومتى أُخْضِعَ له (الله) الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع (لله) للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكلَّ في الكلِّ.» (١كو ١٥:٢٨)

إذن، لقب ابن الله لقب أو اسم خلاصي بالدرجة الأولى. فالابن نزل من عند الآب ليصنع خلاصاً للإنسان، بمعنى لكي يرفع عقوبة الموت واللعنة. لذلك عُرِف المسيح بأنه ابن الله، وهو يعمل أعماله الخلاصية. فكل مَنْ نال الخلاص يؤمن بأن المسيح الذي صنع الخلاص هو ابن الله، وتَوضَّح المسيح أنه ابن الله بقوة وعلناً بالقيامة من بين الأموات كما يقول بولس الرسول:

+ «بولس، عبد ليسوع المسيح، المدعو رسولاً، المُفْرَز لإنجيل الله، الذي سبق فَوَعَدَ به بأنبيائه في الكتب المقدسة ـ عن ابنه ـ الذي صار من نسل داود (بل من نسل إبراهيم) من جهة الجسد، وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات» (رو ١:١ـ٤)، وصعوده إلى السموات علناً، وبرؤية تلاميذه.

إذن، فكل مَنْ يؤمن بابن الله يكون قد نال كل عمل الخلاص، وأقواها هو كونه قد نال روح القيامة ـ **في إنسانه الجديد** ـ الذي سيُحيي أجسادنا ويُقيمنا مع المسيح في اليوم الأخير؛ ولكنه يُعطينا من الآن حياة جديدة على الأرض **لإنسان جديد** مهيَّأ لميراث الحياة الأبدية. فالذي يؤمن بالابن يكون له الخلاص والحياة، والذي لا يؤمن بالابن يمكث عليه غضب الله (يو ٣:٣٦)، أي يبقى تحت لعنة آدم وعقوبة الموت.

ولكن لماذا قرَّر الله ووافق الابن أن يأخذ جسداً طاهراً من العذراء ومن الروح القدس؟ بل ولماذا قرَّر أن يحيا في طفولته تحت طاعة أبويه، ويخضع

للتعليم وينضج قليلاً قليلاً من الطفولة إلى الصبوة إلى الفتوة ثم إلى الشباب والرجولة؟

لقد قرَّر الله ووافق الابن، لأن هذه هي إرادة الله من أجلنا أن يرفع جنسنا من مستوى الخليقة الترابية في آدم إلى خليقة جديدة على مستوى الروح وليس التراب، أي نولَد من الروح ونأخذ جسداً جديداً: «الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يُولَد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح.» (يو ٣: ٥و٦)

فالجسد الذي أخذه المسيح هو البشرية الجديدة حقاً، مولودة من الروح القدس ومن العذراء التي قدَّسها الله بالروح القدس لكي يأخذ منها جسداً مقدساً. هذا الجسد هو في الحقيقة جسدنا الجديد. وابتدأ المسيح يتدرَّج بهذا الجسد ليكون بالفعل خليقة جديدة بأعمال وأفكار جديدة وحياة جديدة. لذلك كانت أهم أعمال المسيح هي إقامة الميت الذي بَقِيَ في القبر أربعة أيام حتى أنتن، لماذا؟ لأن هذه هي النقلة العُظمى التي سينقلنا بها من الموت ونتانته إلى حياة جديدة بالروح. كذلك جميع الآيات الأخرى: فمثلاً شفاء جميع أنواع الأمراض! ذلك ليُعطينا فكرة حيَّة عن **الإنسان الجديد** الذي سيحيا مع الله، والذي يبتدئ خبرته هنا على الأرض بأنه منزَّه عن المرض (فالذي يمرض هو الإنسان العتيق). كذلك تحويل الخمس خبزات إلى خبز هو من الكثرة حتى يُشبع خمسة آلاف! لكي يعطينا قناعة أن الحياة الحقيقية الجديدة **للإنسان الجديد** لا تقوم على الخبز بل على كلمة الله التي أشبع بها في الحقيقة الخمسة آلاف، والتي كان يمكن أن يُشبِع بها العالم كله.

ولكن، لماذا سمح المسيح للشيطان ـ عن إرادة وقصد ـ أن يأتي ويجرِّبه، لأنه مكتوب: «ثم أُصعِد يسوع إلى البرية من الروح ليُجرَّب من إبليس» (مت ٤: ١)؟

ذلك لكي يدخل **بالإنسان الجديد** في مصارعة مع قوات الظلمة والشر. ووجدنا أنه غلب الشيطان في كل التجارب باللجوء إلى المكتوب، أي كلمة الله، حتى يُعطي **الإنسان الجديد** هذه القوة عينها، لكي بالمكتوب يغلب، أي بالإنجيل وبكلمة الله. ثم يعطينا فكراً كيف سنحيا في الحياة الجديدة كإنسان جديد يحيا بكلمة الله: «مولودين ثانية، لا من زرع يفنى، بل مِمَّا لا يفنى، بكلمة الله الحيَّة الباقية إلى الأبد.» (١بط ١: ٢٣)

وهكذا على طول حياة المسيح على الأرض، رسم رسماً تخليقياً عملياً **للإنسان الجديد** بحياته الجديدة في وضعه على الأرض. ثم لكي يقطعه نهائياً من جذر مرارته الشرير، مات به موتاً حقيقياً يؤمِّنه ضد الخطية والموت والفناء، ليخلقه خلقة جديدة روحية وسماوية أبدية. وقام به من بعد موته ووهبه حياة أبدية مع الله، فَفَقَدَ جذره المرّ، وضرب له المسيح جذراً جديداً موطنه السماء، يشرب ويأكل ويحيا ويتحرَّك بمشيئة الله وبقوة كلمة الله الحيَّة التي منها وُلِدَ؛ حيث تصبح حياتنا الآن بالنسبة **للإنسان الجديد** هي حياة مستمدة من الله والإنجيل بالروح، تسير على خُطى المسيح، لا كنموذج نراه من بعيد ونقلِّده، بل كحقيقة حيَّة فينا وفي داخل أرواحنا، لأن المسيح لم يأخذ جسداً من خارج جسدنا، بل أخذ جسدنا هذا بعينه وسكن فيه بروحه القدوس ولاهوته، ثم أعطاه لنا بعينه لَمَّا قام بنا. فالمسيح الآن يحيا فينا بروحه: «أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠). هذه حقيقة حياتية قبل أن تكون معلومة لاهوتية.

إن بيت لحم هي مهدنا الجديد الذي منه تقبَّلنا **إنساننا الجديد**. والناصرة مسرح شبابنا. والجليل هو موطن جهادنا وصدامنا مع الناموس والقوَّامين عليه. هذا هو امتحان إيماننا كل يوم، فكل مشكلة روحية يخلقها لنا الناس والعالم، يردُّ عليها المسيح الذي فينا الذي ناقش وحاور وغلب من أجلنا ليعطينا بنفسه وبروحه الغلبة. لقد بنى لنا المسيح بنفسه وفي نفسه **إنساننا الجديد** الذي يغلب بالمكتوب.

أما الموت على الصليب أي علـى مستوى اللعنـة والتشـهير، فهـذا يـلزم أن يكون عملنا كل يوم بل حياتنا. والمسيح أوصى بذلك أن نحمـل صليبـه ونتبعـه حتى الجلجثـة لأن هـذا هـو الطريـق الوحيـد الموصِّـل إلى القيامـة والصعـود إلى الموطن الجديد السمائي الذي وُلِدنا له ونعيــش الآن مـن أجلـه. ونحـن لا نبـذل جهداً من عندنا لكي نحمل الصليب أو نصعد عليـه في النهايـة. فالمسـيح الـذي فينا قد حمله من أجلنا ليُهذِّب ويُدرِّب أكتافنا على حمله. **فالإنسان الجديد** فينـا له نفس أكتاف المسيح التي حملت الصليب، أما الصعود عليه فهو لا يتبع قوتنـا أو مشيئتنا، لأن المسيح قَبِلَ هذه الوصية من الله رأساً لتكون لنا: «هذه الوصية قَبِلْتُها من أبي» (يو ١٠:١٨)، وهي أن يكون له سلطانٌ أن يضع حياته بمشيئته بل ويقيمها بمشـيئته. ونحـن إذ لنـا نفـس فكـر المسيح ومشيئته، نضـع حياتنـا بالإيمان كما وضعها هو، ونقيمها بالإيمان وكأنها قائمة قبـل أن نمـوت. فنحـن نموت بإرادتنا على أساس، لا أننا سنقوم، بل أننا قمنا. فالقيامة التي نحياها تجعل الموت على الصليب، إذا جاء، كأنه مـن صميـم حياتنـا ورجائنـا، بـل وهـدف حياتنا؛ فإن متنا فللرب نموت أو قد متنا، وإن عشنا فللرب نعيش لأننا أصبحنـا للرب نحيا أو نموت (رو ١٤:٨). لأن المسيح نفسه الذي مـات مـن أجلنـا هـو فينا، وهو نفسه الذي قام هو فينا. فموتنـا وقيامتنـا هـي بعينهـا مـوت المسيح وقيامته. وصعودنا إلى السماء مضمون قبل المـوت، لأن المسـيح أَصْعَـدَ **إنسـاننا الجديد** الذي فينا الآن معه!! «فإن كنتم قد قُمْتُمْ مع المسيح فـاطلبوا مـا فـوق، حيث المسيح جالسٌ عن يمين الله (ونصيبنا معه وفيه).» (كو ٣:١)

ومرة أخرى، يلزمنا جداً أن ننتبه أن موتنا أصبح ليس منا ولا لنـا، بـل مـن المسيح وله. وهو قوة حياتنا الأبدية، وعليه يتوقّف نصيبنا السماوي المحفوظ لنا. فينبغي أن نتوقّعه بالصبر، بل نقبله بالسرور، بل ونطلبه لأنه هو بالحقيقة حياتنـا الأبدية.

فإن كنا نؤمن بالمسيح، وقد قبلنا الخلاص الأبدي ونعيش فيه، فالموت - كما قال القديس بولس - «هو ربح» (في ١:٢١)، لأن بالموت يتم مشتهى قلوبنا الذي طالما نتمناه أن نترك كل شيء ونتبعه. فالموت هو مشتهى المؤمن بالمسيح؛ لأنه في لحظة وفي طرفة عين، نودِّع الأرض والعالم، وندخل إلى فرح السيد، لنتعرَّف على زمرة القديسين الذين ينتظروننا لنكون مع المسيح: «ذاك أفضل جداً!» (في ١:٢٣)

(كُتبت سنة ١٩٧٨، ووُجِدت في أوراق مدشوتة سنة ١٩٩٨)

كلمة في الختام:

أليس هذا فعلاً هو كشف سر ابن الله المملوء سرًّا؟

وأليس هذا هو الذي يحقِّقه بطرس الرسول حينما يقول:

+ «الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب» (١بط ٢:٩)؟

وكذلك ما يقوله بولس الرسول:

+ «ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح (بالروح)» (أف ٢:٥)؟

وأيضاً أليس هذا هو عينه الذي قاله بطرس العجيب:

+ «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (١بط ٢:٢٤)؟

ثم أخيراً أليس هذا هو هو الذي قاله بولس الرسول:

+ «مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أف ٢:١٠)؟

الخليقة الجديدة
ووحدة البشرية والحياة الأبدية

□❖✞❖□

كيفية اتحادنا بالمسيح في جسد واحد:

«لأننا أعضاء جسمه،
من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥: ٣٠)
هذا سرٌّ نشتاق إليه،
ولكن لا نستطيع أن نفهمه.
ليس كل ما نعرفه نستطيع أن نفهمه،
وسبب ذلك هو أن السرَّ يفوق إمكانيات ومدركات العقل البشري.
كيف نكون كلنا جسداً واحداً في المسيح؟
بل و«من لحمه ومن عظامه»... إلى هذه الدرجة؟
لكن الذي يساعدنا على قبول هذه الحقيقة،
هو أن الرب القائم من بين الأموات قال:
«جسُّوني وانظروا، فإنَّ الروح ليس له لحم وعظام كما تَرَوْن لي.» (لو ٢٤: ٣٩)
إذن، جسد القيامة له لحم وعظام،
ونحن مخلوقون من جديد من ذات جسد المسيح القائم من بين الأموات.
فيحقُّ لنا بالتالي أن نكون «من لحمه ومن عظامه»، كما كانت حواء من لحم ومن عظام آدم.

كيف، إذن، نكون جسداً واحداً في المسيح(٥)؟

هذا اتحاد أعظم وأكمل من مجرَّد اتحاد عريس بعروس.
هذا تعبير عن عودة البشرية إلى «إنسان واحد» (أف ٢:١٥)،
إلى «إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف ٤:١٣)
هنا يعيد المسيح للبشرية وحدتها الأصلية التي كانت لها قبل الخطية،
لأن البشرية قبل الخطية كانت إنساناً واحداً هو آدم المخلوق على صورة الله،
و لم يأتِ التناسل والتكاثر إلاّ بعد الخطية وحُكْم الموت وكنتيجة لهما.
فالخطية فتّتتْ الطبيعة البشرية الواحدة إلى آلاف القِطَع(٦).
فلما رَفَعَ المسيح خطايا البشرية كلها وأبطلها على الصليب،
كانت النتيجة الحتمية أن تعود البشرية المُفتّتة من آدم إلى وحدتها الأصلية،
لأن سبب الانقسام، وهو الخطية، قد رُفِع من الوسط.
ولكن كيف يصير المسيح فينا ونحن فيه؟
كيف نصير واحداً في الآب وفي الابن؟
هل ندخل إلى عمق كيان الله؟ إلى عمق الثالوث؟
كيف يدخل الجزء (أنا) في المطلق الكامل دون أن يفقد الجزء وجوده

---

(٥) **الإفخارستيا**، بمعنى تناول جسد ودم المسيح، حقّقت هذه الشركة التي أكملها المسيح بتجسُّده وموته وقيامته: «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه... فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.» (يو ٦:٥٦و٥٧و٥٤)

(٦) يقول القديس أغسطينوس: [لقد سقط آدم، وبذلك **تحطَّم وملأ بأشلائه العالم كله.**]
(*In Psalm* 95, PL 37:1236)

ويقول القديس ميليتو أسقف ساردس (القرن الثاني الميلادي):
[لقد (تجسَّد المسيح) لكي يعيد الحياة للإنسان، ويجمع أعضاءه التي شتّتها الموت. **لأن الموت كان قد قسَّم الإنسان!**] (*SC* 123,238)

الخاص؟
هذا سرٌّ يعجز الشرح اللاهوتي عن الاقتراب إليه.
لكن القديس يوحنا يُقدِّمها في منتهى البساطة:
«أما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.
ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١:٣و٤)
الفرح الكامل هنا دليل على أننا لن نفقد وجودنا الخاص بدخولنا في المطلق الكامل،
لأن الفرح شعورٌ يستقر في الذات.
والشعور الذاتي لن ينعدم بدخولنا في المطلق!
فكيف يدخل الجزء المحدود في المطلق غير المحدود دون أن يفقد وجوده؟

التجسُّد أساس الاتحاد:

في التجسُّد أخذ منّا المسيح جسداً محدوداً ووحَّده بكيانه الإلهي غير المحدود،
فخرجت البشرية في المسيح من المحدود إلى اللامحدود،
وهكذا احتوى المسيحُ البشريةَ وكل بشري(٧).
فالمسيح أخذ وجوداً زمنياً ووحَّده بوجوده الأزلي غير الزمني.
وبذلك وضع أساس الاتحاد بين الزمني واللازمني، وبين المحدود واللامحدود،
وأخرج الوجود البشري المحدود من محدوديته وأعطاه إمكانية الاتحاد بغير المحدود.
ولكن ظلَّت هذه الإمكانية محقَّقة في كيان المسيح الشخصي فقط،
حتى يوم الصليب حين أخذ المسيح خطايا البشرية كلها في نفسه ومات بها ثم قام.

(٧) لذلك كل مَنْ أنكر يسوع المسيح يكون قد أنكر وجوده نفسه، وتنكَّر للحياة الأبدية، وأغلق على نفسه في لعنة آدم.

فخلَق البشرية فيه من جديد بقيامته، بطبيعة جديدة مأخوذة منه،
لها نفس إمكانية الاتحاد بين المحدود واللامحدود، وبين الزمني واللازمني:
«أنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو ١٤ : ٢٠)
فالتجسُّد كان بداية لَمّ شمل البشرية المفتّتة من آدم بسبب الخطية،
لَمّ شملها في ابن الله الذي وحَّدها في نفسه.
فلما رُفِعَتْ الخطية بالصليب،
عادت البشرية المفتّتة إلى صورتها الأصلية بشبه خالقها.
فبالقيامة، أي بخلق البشرية من جديد من طبيعة المسيح،
يتحقّق سرُّ توحيد الزمني باللازمني والمحدود باللامحدود.

الصليب حقّق غاية التجسُّد:

التجسُّد كان بداية احتواء البشرية في ابن الله الوحيد.
هذا الاحتواء مُنح مبدئياً للإنسان في شخص المسيح نفسه لَمَّا تجسَّد،
لكن الخطية عوّقت اكتماله.
غير أن هذا الاحتواء تحقّق للبشرية كلها بالكمال لَمَّا لَبِسَ المسيح خطيتها في جسده،
ومات بها فأخلاها من الموت والانقسام وفكّها من محدوديتها،
وأعطاها إمكانية الاتحاد باللازمني واللامحدود في المسيح.
فالصليب حقّق، إذن، للبشرية كلها الاتحاد الذي تمّمه المسيح في شخصه بالتجسُّد،
وبالقيامة دخلت البشرية خلقتها الجديدة وتهيَّأت للحياة الأبدية مع الله.

(مساء عيد القيامة ـ عام ١٩٩٩)

استعلانات الله

من شاكيناه(*) العهد القديم لإنسان الخطية، إلى شاكيناه العهد الجديد للإنسان الجديد

■❖✞❖■

بعد خروج آدم من لدن الله وطرده من الجنة، فَقَدَ في الحال إدراكه الداخلي بالوعي المفتوح لرؤية الله ومعاينته والشركة معه. وصار آدم وكل ذرِّيته يعيشون بإدراكهم الحسِّي ورؤيتهم القائمة على الحواس فقط؛ وكانت أكبر خسارة، إذ انقطع تدرُّجه في المعرفة والحياة مع الله. وخرج ليحيا معتمداً على حواسه الجسدية يتحسَّس بها في نور الشمس ليتعرَّف على ظواهرٍ الأمور من دون الله. وهكذا انقطعت صلته بالله وتدنَّت معرفته إلى أقصى حدّ.

لكن الله لم يشأ للإنسان أن يتباعد كليًّا عنه حتى لا يتغرَّب الإنسان فيفقد معرفته بالله. فابتدأ في مناسبات معروفة هامة يظهر للإنسان في مظهر يراه بعينيه؛ فكان يُعلِن له بمجده على هيئة نار متعدِّدة الأشكال والوظائف توضِّح وجود الله وجبروته لتأسيس شعور الهيبة والمخافة والتوقير.

وقد رصدنا هنا جميع الظروف التي تراءى فيها "مجد" الله للإنسان بشكل من أشكال النار. فأولاً ظهر لإبراهيم كمصباح نار الله حينما بلغت عتمة المعرفة أقصاها، ثم ظهر لموسى كعلِّيقة مشتعلة بالنار، ثم ظهر لبني إسرائيل كعمود نار يصير بالنهار سحابة مظلِّلة وبالليل نوراً للسير والهداية.

(*) "شاكيناه" هو النطق العبري لكلمة "سُكنى". وكانت هذه تُقدَّس تقديساً عظيماً عند بني إسرائيل، لأنها تعبِّر عن سُكنى الله معهم.

وهكذا سيرى القارئ، إذا أطال باله، مدى محاولات الله للإعلان عن ذاته وتقرُّبه للإنسان على مدى الأزمان، ليحتفظ الإنسان بمستوى واضح من معرفة الله معرفة خارجية قائمة على الحواس:

ظهوره لإبراهيم: بمناسبة إقامة أول ميثاق معه عندما بلغت الظلمة أقصاها:

+ «ولما صارت الشمس إلى المغيب، وقع على أبرام سُبات، وإذا رُعْبة مُظلمة عظيمة واقعة عليه... ثم غابت الشمس فصارت العتمة، وإذا تنور دخان **ومصباح نار** يجوز بين تلك القِطَع. في ذلك اليوم قَطَعَ الرب مع أبرام ميثاقاً.» (تك ١٥: ١٢و١٧و١٨)

ظهوره لموسى: الإعداد للخروج بالشعب من مصر، وكان ذلك في حوريب جبل الله:

+ «وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان. فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب. **وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عُلَّيقة**، فنظر وإذا العُلَّيقة تتوقَّد بالنار والعُلَّيقة لم تكن تحترق. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم، لماذا لا تحترق العُلَّيقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العُلَّيقة، وقال: موسى موسى. فقال: هأنذا. فقال: لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذاءك من رجليك، لأن **الموضع** الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة.» (خر ٣: ١-٥)

ويُلاحَظ كلمة "موضع" فهي نفس الكلمة التي تُستخدَم في التعبير عن الهيكل أو خيمة الاجتماع أو هيكل الكنيسة أي موضع الله. وكان حديث الخروج من مصر العبودية بداية لتكوين شعب الله ليقطن أرض كنعان.

ظهوره للشعب أربعين سنة: قيادة الشعب نهاراً وليلاً حتى عبروا سيناء:

+ «وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، **وليلاً في عمود نار ليضيء لهم،** لكي يمشوا نهاراً وليلاً. لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب.» (خر ١٣: ٢١و٢٢)

+ «ها أنا مُرسِلٌ ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق، وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرَّد عليه، لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمي فيه.» (خر ٢٣: ٢٠و٢١)

ظهوره لإعطاء لوحي الشهادة والشريعة والوصية التي كتبها الله لهم كبداية تعليم الشعب:

+ «وحلَّ مجد الرب على جبل سيناء وغطَّاه السحاب ستة أيام. وفي اليوم السابع دُعِيَ موسى من وسط السحاب. **وكان منظر مجد الرب كنارٍ آكلة على رأس الجبل** أمام عيون بني إسرائيل.» (خر ٢٤: ١٦و١٧)

ظهوره فوق خيمة الاجتماع "المسكن" على الدوام طالما هم غير مرتحلين، بدء اتصال دائم بين الله والشعب:

+ «ثم غطَّت السحابة خيمة الاجتماع، وملأ بهاء الرب المسكن. فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع، لأن السحابة حلَّت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن. وعند ارتفاع السحابة عن المسكن كان بنو إسرائيل يرتحلون في جميع رحلاتهم. وإن لم ترتفع السحابة لا يرتحلون إلى يوم ارتفاعها، لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً، **وكانت فيها نارٌ ليلاً** أمام عيون كل بيت إسرائيل في جميع رحلاتهم.» (خر ٤٠: ٣٤-٣٨)

ظهوره عند تدشين أول هيكل (سليمان)، ظهور الله أثناء العبادة:

+ «ولما انتهى سليمان من الصلاة، نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة

والذبائح، وملأ مجد الرب البيت. ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا بيت الرب، **لأن مجد الرب ملأ بيت الرب. وكان جميع بني إسرائيل ينظرون عند نزول النار، ومجد الرب على البيت.»** (٢أي ٧: ١-٣)

ظهور الشاكيناه أي مكان سُكنى الله في قدس الأقداس بالخيمة والهيكل،
بدء سُكنى الله بين الناس منفرداً:

+ «وكلّم الرب موسى بعد موت ابني هارون عندما اقتربا أمام الرب وماتا. وقال الرب لموسى: كلّم هارون أخاك أن لا يدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء (الهيلاستيريون ἱλαστήριον) الذي على التابوت لئلا يموت، **لأني في السحاب أتراءى على الغطاء.»** (لا ١٦: ١و٢)
+ **«وأجعل مسكني في وسطكم ولا ترذلكم نفسي. وأسير بينكم وأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً.»** (لا ٢٦: ١١و١٢)
+ «فلما دخل موسى إلى خيمة الاجتماع ليتكلّم معه كان يسمع الصوت يُكلّمه من على الغطاء الذي على تابوت الشهادة من بين الكروبَيْن فكلّمه.» (عد ٧: ٨٩)
+ «هل سمع **شعبٌ صوتَ الله يتكلّم من وسط النار**، كما سمعت أنت، وعاش.» (تث ٤: ٣٣)
+ «إنك قد أُرِيتَ لتعلم أن الرب هو الإله. ليس آخر سواه. من السماء أَسْمَعَكَ صوته لِيُنذرك، وعلى الأرض أراك ناره العظيمة، وسمعتَ كلامه من وسط النار.» (تث ٤: ٣٥و٣٦)

الشعب يستعفي من سماع صوت الرب من وسط النار:

+ «هذه الكلمات (الوصايا العشر) كلّم بها الرب كل جماعتكم في الجبل من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم... وكتبها على

لوحين من حجر وأعطاني إيَّاها. فلما سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار تقدَّمتم إليَّ جميع رؤساء أسباطكم وشيوخكم. وقلتم هوذا الرب إلهنا قد أرانا **مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار.** هذا اليوم قد رأينا أن الله يكلِّم الإنسان ويحيا. وأما الآن فلماذا نموت، لأن هذه النار العظيمة تأكلنا. إن عُدْنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضاً نموت، لأنه مَنْ هو مِن جميع البشر الذي سمع صوت الله الحي يتكلَّم من وسط النار مثلنا وعاش. تقدَّم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب إلهنا وكلِّمنا بكل ما يُكلِّمك به الرب إلهنا، فنسمع ونعمل.» (تث ٥:٢٢-٢٧)

وعد الله بمجيء مَنْ يكلِّمهم باسمه (لا بالنار ولكن بالنعمة):

+ «يُقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك مثلي، له تسمعون. حسب كل ما طلبتَ من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت. قال لي الرب قد أحسنوا في ما تكلَّموا. أُقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، أجعل كلامي في فمه فيُكلِّمهم بكل ما أُوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلَّم به باسمي، أنا أُطالبه.» (تث ١٨:١٥-١٩)

تعقيب: واضح أنه بسبب فقدان آدم وبنيه الوعي الداخلي والتعرُّف الروحي على الله بعد طرده من لدن الله كأثر حتمي لانقطاع الصلة التي كانت تربطه بالله، صلة الروح والمعرفة بالروح لإدراك الله؛ قَصَرَ الله استعلانه لبني آدم على المعرفة الخارجية الحسية بالعين والسمع، وجعل النار الإلهية المنظورة هي وسيلة استعلانه، فأخذت أشكالها التي رصدناها. وقد استنفد الله كافة الاستعلانات الممكنة بِمَنْ هو الله، حتى صارت سكناه الدائمة في قدس

الأقداس من فوق تابوت العهد حيث يسمعه ويراه رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة، التي عرفناها أنها هي "الشاكيناه".

وكان لاستعفاء الشعب من سماع صوت الله من داخل النار، لأنه أرعبهم وطلبوا أن يُعيَّن موسى لكي يعرف ما يريده الله ويخبرهم به هو؛ كان له استجابة سريعة عند الله بأن وعدهم بإرسال نبي كواحد من إخوتهم من وسطهم يكون اسم الله فيه، هو يكلِّمهم. وليُلاحظ القارئ هنا أنه جاء فعلاً وسُمِّي "**الكلمة**". هذا يكلِّمهم ليس بنار بعد، بل كما يُكلِّمون هم بعضهم بعضاً، لأنه **واحد من إخوتهم**.

. ومن هنا بدأ تصميم الله على إرسال ابنه الوحيد متجسِّداً ومتأنِّساً كواحد منهم، ولكنه يحمل اسم الله أي ذاته وشخصه. على أن لا تكون النار فيما بعد واسطة الاستعلان، ولكن "الكلمة" الإلهية بجلالها ومجدها وفاعليتها، مما يستلزم بالضرورة انفتاح وعي الإنسان الداخلي لإدراك حكمة كلمة الله وعمقها وصفاتها كنور للقلب والفكر، يبدِّد ظلمات جهالته ويكشف له الحق والحياة.

وهكذا بدأ استعلان الله على مستوى داخل الإنسان، أي وعيه الروحي، حيث يصبح هنا استعلان الله ليس بنار بعد، بل بالنور الحقيقي غير المنطفئ وغير المصنوع، نور الله نفسه الكاشف الخفيات، ليضيء قلب الإنسان وفكره وحياته، ويستعلن له كل أمور الله والحياة الأبدية التي سيُدعَى إليها للحياة مع الله حيث يدخل الإنسان في شركة دائمة أبدية مع الله. لأن استعلان الله هو معرفة الحق أو الحياة الأبدية أو معرفة الله المطلقة الذاتية، فهي تصبح معرفة استيعاب كل ما لله. فمعرفة الحق الأبدي هي بعينها الحصول عليه وامتلاكه أو الاتحاد به والشركة معه. لأنه يستحيل أن يعرفه أحد إلاَّ إذا صار يعيه وعياً كليًّا، أي يحوز عليه. لذلك فكل مَنْ لا يعرف الحق لا يحوزه ولا يشترك فيه، وهكذا الله.

هنا النور الحقيقي في تعريف أو استعلان الله ـ الذي صار بواسطة إرسال ابنه متجسِّداً ـ هو أعظم تعبير واستعلان لله. والنور الحقيقي هو الحق الكلِّي وهو الحياة الأبدية. فكل مَنْ أدرك نور الله أو أدركه نور الله أدرك الحق والحياة الأبدية.

هكذا بدأ القديس يوحنا في إنجيله ليُقدِّم لنا المسيح الذي أرسله لنا الله ليُكلِّمنا عن الله كلام الاستعلان. يقول القديس يوحنا: إن المسيح كان في البدء أو منذ البدء عند الله، بل وكان هو "كلمة الله الذاتي"، فهو الله أيضاً، وهو النور **الحقيقي** الذي ينير كل العالم من داخل وعي الإنسان، والنور يضيء الظلمة والظلمة لا تدركه قط.

وهكذا يكون الله قد انتقل من استعلان ذاته بالنار وبالعين الخارجية للإنسان إلى استعلان ذاته بالنور الحقيقي الذي لا يُدركه إلاَّ القلب الحقّ والروح الحقّ للإنسان. وهذا هو الإيمان بالله الذي يُعطي الإنسان أن يصير ابناً لله أي يدخل في شركة معه، تلك التي تكون بانفتاح وعي الإنسان الداخلي وقبول الله.

وهكذا أصبح باستعلان الله للإنسان بالمسيح يسوع، بـ "الكلمة"، بالنور والحق؛ ينفتح أمام الإنسان طريق العودة إلى الحياة مع الله كشركة في النور والحق والحياة الأبدية. والقديس يوحنا يُقدِّم لنا خبرته في التعرُّف على المسيح باعتباره الحياة الأبدية التي كانت عند الله وأُظهِرَت لنا:

+ «فإن الحياة أُظهِرَت (ووضح ذلك ١٠٠٪ بقيامة المسيح من بين الأموات)، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا. الذي رأيناه وسمعناه (كاستعلان الله والمسيح) نُخبركم به، **لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح**. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١: ٢-٤)

وهذا يعني أن القديس يوحنا وباقي التلاميذ الذين استعلن الله ذاته لهم في ابنه يسوع المسيح، وقبلوه وصاروا أولاداً له؛ دخلوا معه في حياة الشركة الأبدية للحياة الأبدية. وهذا هو منتهى قصد ومشيئة وإرادة الله في عودة الإنسان إليه جديداً كخليقة جديدة بوعي قلبي مفتوح نحو الله.

استعلان يوم الخمسين،

ثم استعلان الله الأخير لبولس الرسول ـ استعلان من السماء:

بعد تكميل استعلان الله بيسوع المسيح وقيامته وصعوده إلى السماء، تمَّ حلول الروح القدس **كألسنة من نار ـ نازلة من السماء حاملة الروح القدس ـ منقسمة على رؤوس الحاضرين،** لتستعلن آخر صورة لسُكنى الله فيما بعد التوراة؛ لا في خيمة من قماش ولا هيكل من حجارة بعد، بل في هياكل بشرية صارت من لحم ابنه وعظامه. لذلك سَرَّ الله أن يسكن فيها بروحه ويجد له إقامة: «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١ كو ٣:١٦)، وهذا حقٌّ: «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف ٥:٣٠). فمن اللائق جداً أن يأتي روح الله ويسكن فيها.

وهكذا تمَّت الخلقة الجديدة للإنسان الجديد من فوق كقول الرب. وصارت هي "الشاكيناه" الجديدة لسُكنى الله! مَنْ يصدِّق هذا!!! «كما قال الله: إني سأسكن فيهم وأسير بينهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً» (٢ كو ٦:١٦). فصار الإنسان آيةً لاستعلان مجد الله. ولَمَّا سكن الروح القدس في هيكل الإنسان صار استعلان الله بالكلمة بواسطة الإنسان!!! هذا هو الإنسان الجديد.

واستعلان مجد الله في الإنسان في يوم الخمسين هو استعلان خاص علني ومنظور حدث بعد اختيار نخبة ممتازة وممحَّصة. أما استعلان مجد الله في الإنسان على طقس بولس الرسول الذي تمَّ بعد ذلك بواسطة المعمودية، حيث

يحل روح الله القدوس بالسرِّ في الإنسان، ويحل وجه يسوع أيضاً سرًّا في الإنسان؛ فهذا يكون استعلاناً لمجد الله بواسطة المعمودية بالسرِّ بحلول وجه يسوع المسيح سرًّا، وهو استعلان سرِّي غير منظور للجميع لسُكنى مجد الله في الإنسان عامة.

وكان بنو إسرائيل يعتبرون سُكنى الله بينهم "الشاكيناه" منتهى المحاباة لشعبهم دون الشعوب. فماذا نقول نحن بعد أن أتى الله بمجده وجعل مسكنه فينا؟

تكلَّم الله من السماء وعيَّن بولس الرسول إناءً مختاراً يحمل اسمه إلى أمم وملوك، ورآه بولس الرسول رؤيا العين الخارجية ـ وبآن واحد ـ بانفتاح الوعي الداخلي ليُعرِّفه أنه هو المسيح ابن الله الذي يضطهده، ويقبل منه الرسولية كآخر رسول. رآه بوجهه المبارك يلمع فوق قرص الشمس بلمعان أكثر من الشمس ذاتها. وهذا يميِّز رؤيا الوعي الداخلي بالروح عن رؤيا العين لطبيعة الشمس المعروفة. فكان استعلان الله في وجه يسوع المسيح متكلِّماً من السماء، هو آخر حدث لاستعلان الله. وهنا إضاءة وجه المسيح في السماء تعطينا نوعاً جديداً من الشاكيناه، أي رؤية "سُكنى الله" التي كانت في قدس الأقداس متكلِّماً لرئيس الكهنة مرة في السنة للتكفير عن خطايا الشعب في ذبيحة المحرقة المدعوة ذبيحة الكفَّارة التي كانت تقدَّم مرة واحدة في السنة، وكانت في الحقيقة تعبيراً تصويرياً ونبوَّة عن ذبيحة أخرى أعلى وأجلّ وهي ذبيحة المسيح على الصليب.

كذلك، فالشاكيناه كانت مجرد تصوير عن معقولية سكنى الله مع الناس، إنْ في خيمة أو في هيكل؛ الأمر الذي حدث بصورته المجيدة بحلول روح الله والمسيح في داخل الإنسان الجديد للسكنى لتصير هي الشاكيناه الحقيقية لمجد الله، حيث نحن

الشاكيناه «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف... نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح» (٢كو ٣:١٨). فمن شاكيناه ا لله في العهد القديم لإعطاء الغفران لإنسان الخطية إلى شاكيناه إعطاء مجد ا لله في العهد الجديد. فكانت الشاكيناه المسيحية، التي محورها الكرازة بالخلاص لأمم الأرض، هي آخر استعلان مُعطَى للإنسان الجديد المنفتح لاستقبال معرفة ا لله وقبول آخر وصاياه. هذه الحقيقة يلزم أن تكون حقيقة إيمانية بالدرجة الأولى.

ملخّص:

أولاً: بدأ استعلان الله بعد طرد آدم من الفردوس بواسطة أشكال النار المتعدِّدة، متكلِّماً لجميع الأجيال المحصورة فقط في إبراهيم وفي نسله بني إسرائيل، ممثِّلاً لأمم الأرض، باعتبار أنها استعلانات توثِّق القُرْبَى بين الله والإنسان الخاطئ البعيد عن الله، إلى أن بلغت نهايتها بصورة الشاكيناه، وهي سُكنى الله في قدس الأقداس لقبول رئيس الكهنة حاملاً دم ذبيحة المحرقة لغفران خطايا الشعب كله، وسماع كلمة الغفران من يهوه من فوق غطاء التابوت من بين الكاروبَيْن مرة واحدة في السنة، غفراناً عن خطايا السهو فقط.

ثانياً: وانتهت هذه الاستعلانات بميلاد ابن الله يسوع المسيح وقبوله خطايا العالم، كل الخطايا في جسده على الخشبة، وموته تكميلاً لعقوبة الله الواقعة على آدم ونسله، وتكميلاً للمصالحة بين الإنسان والله بصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمين الله حاملاً البشرية الجديدة في جسده المُقام. وظل الرب يسوع يكمِّل استعلان الله بعد قيامته بواسطة الروح القدس الذي هو موعد الآب، وذلك في مختاريه بعد يوم الخمسين بعمل القلب.

ثالثاً: وآخر استعلان للرب يسوع برؤيا العين الخارجية تمَّ لبولس الرسول وهو في أقصى حالات التحدِّي لله وتكميل خطايا المقاومة لله بقتل المؤمنين باسم يسوع

المسيح. كان ذلك تعبيراً عن مدى استعلان ا لله للإنسان الخاطئ وهو في عمق خطاياه لقبول معرفة ا لله والإيمان به وقبوله الخلاص **مجاناً**. فكانت رؤية بولس الرسول هي "**الشاكيناه الجديدة**" القائمة في السماء المتكلِّمة بالدعوة للخلاص الدائم للإنسان الجديد لكل مَنْ يقبل ويسمع الدعوة المجانية: «مِنْ ثمَّ أيها الملك أغريباس لم أكن مُعانداً للرؤيا السماوية، بل أخبرت أولاً الذين في دمشق وفي أورشليم حتى جميع كورة اليهودية، ثم الأمم، أن يتوبوا ويرجعوا إلى ا لله عاملين أعمالاً تليق بالتوبة.» (أع ٢٦: ١٩و٢٠)

□ □ □

والآن، هل تحقَّق تدبير الله وغرضه الأسمى من سكناه فينا، ونستعلنه بالحق كشاكيناه صادقة؟

نحن نحتاج إلى التدرُّب على محادثة المسيح من القلب ولو أثناء العمل أو الكتابة أو حتى القراءة. فالإحساس بوجود المسيح لا يلزم أبداً أن يكون في الهدوء أو أثناء الصلاة فقط، لأن المسيح له حضرة بهية تسيطر على الجو كله كالنور أو الرائحة العطرية يمكن أن يحيا فيها الإنسان وهو مشغول أو حتى وهو نائم. وحضرة الرب حقًّا وفعلاً مضيئة، فهو الشاكيناه التي كان يدخل فيها رئيس الكهنة ليتوسل عن الشعب. فهي حضرة مضيئة بنور سماوي ليس من أي نوع نعرفه. وهو غير منظور ولا محسوس للعين، ولكن محسوس جداً للنفس. والشاكيناه هي الذُّكصا الكبرى أو المجد الأعظم الذي رآه وسمعه إشعياء النبي أنه مِلء كل الأرض بسبب التجسُّد المزمع أن يكون. هذا هو المجد الذي نستحوذ عليه بحبنا الخالص من القلب الخالص، فيملأ حياتنا وفكرنا وروحنا.

كان رئيس الكهنة يدخل إليه مرة واحدة في السنة؛ لكن قد صار لنا وجود معه بصورة دائمة. وليس هذا فحسب، بل صار هو الذي يشملنا بحضرته

وبنوره الذي يسيطر على كياننا فيملأنا عـزاءً ونعيمـاً وسـروراً. فقـط يـلزم أن نكون على مستوى حضرته ونور مجده، ولا يكـون هـذا إلاَّ بـالوجود في حالـة حب شديد خالص من القلب والفكر والنفس. فالحب هو ذبيحة العهد الجديـد التي نتقدَّم بها إلى الله وندخل إليه ونتراءى أمامه؛ فيستعلن لنا مجده أي حضرته المضيئة التي نعيش فيها لحظات من عمرنا الأبدي، فننسى أنفسنا وهمومنـا، بـل وينسحب من قلبنا ومن فكرنا الإحساس بالزمن والعالم. فأنْ نكون مع المسـيح أو يكون المسيح معنـا، فهـذا هـو كـل العهـد الجديـد، "عمـانوئيل"، الـذي في حضرته وبدون جهد منّا تصير شريعته في داخلنا مكتوبة على ظهر قلبنا.

كانت الشاكيناه هي مجد الله في إسرائيل، كما قال بولس الرسول: «الذيـن هم إسرائيليون، ولهم التبنّي والمجد والعهود والاشـتراع» (رو ٩:٤). هـذا المجـد هو مجد الشاكيناه أي حضرة الرب، وكانت في وسطهم. لأن كلمة "شـاكيناه" هي أصلاً من السكنى أي سكنى الله وسط شعب إسـرائيل. وأول مَـنْ عرفهـا ودخل فيها موسى، لأنها كانت هي العلّيقة ذاتها المشتعلة بحضرة الله كناية عن المسيح في تجسُّده القادم. فالعلّيقة هي أول رمـز للحضـرة الإلهيـة المضيئـة. فـأنْ نقتني نحن الشاكيناه بالحق، فهذا قمة المنتهى. إسرائيل لم ينتفع أبداً بسـكنى الله في وسطه. والخوف كل الخوف أن نفقد نحـن هـذه العطيـة العُظمـى، شـاكيناه العهد الجديد، عمانوئيل الله معنا!!! سـرٌّ تطويـب العـذراء مريـم، أنهـا حملـت الشاكيناه في بطنهـا تسـعة أشـهر و لم تحـترق، بسـبب طهارتهـا وبسـاطة قلبهـا الفائق.

ويعطينا القديس أنطونيوس شهادة حيَّة ملتهبة من حياته وخبرته، ينقلها إلينا كرسالة نورانية تضيء عالمنا، حينما قال عن عطية الروح القـدس باعتبـاره نـار الله الموهوبة من الله بواسطة المسيح لتلاميذه ولنا حسب الوعد:

[ذلك الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضـاً! وإذا أردتم

أن تقبلوه **ويسكن فيكم**، قدِّموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار. واطلبوا باستقامة قلب هذا **الروح الناري**، وحينئذ يُعطى لكم...] (الرسالة الثامنة)

هذه شهادة حيَّة لقديس متَّقد حقًّا بنار الله، ومن سكنى الروح فيه يتكلَّم ويشهد. حقًّا كان القديس أنطونيوس صورة للشاكيناه الجديدة التي صارت لنا بوعد! مَنْ يقبل فلْيقبل.

وهكذا وبمجاناً أُعطِيَ لنا أن نحمل الشاكيناه أينما كُنَّا وحيثما وُجدْنا، لا تسعة أشهر بل العمر كله. كان كل المطلوب من موسى أن يخلع نعليه ليَدخل الأرض المقدسة ويتراءى أمام الحضرة المضيئة المشتعلة. والمطلوب منا أن نخلع جسدنا العتيق بالجملة حتى نوهَب هذا الوجود الفائق في حضرة المسيح، لأن حضرة المسيح لا تنحصر في مجرد التواجُد أمامه، بل إن سرَّ الشاكيناه في المسيحية أنه لا يرتاح إلاَّ في قلب الإنسان. فالعلِّيقة المشتعلة موضعها قلب الإنسان، لأنه هو الخيمة الجديدة أو المسكن الجديد الذي يحلّ فيه المسيح ويضيء ويشتعل. لذلك أصبح التزاماً على الإنسان أن يكون قلبه مُعَدًّا كالعليَّة، ومفروشاً باستعداد الإفخارستيا السريَّة التي فيها يكسر المسيح الخبزة السريَّة مع الإنسان. وهو القول السرِّي الذي قاله الروح: إن المسيح باستعداد الوقوف على قلب الإنسان ويقرع؛ فإذا انفتح القلب، يدخل ويتعشَّى مع الإنسان ويتعشَّى الإنسان معه (رؤ ٣: ٢٠). فصحْن الإنسان (الذي يأكل فيه) هو همُّه وأمله ورجاؤه، يجترُّه كل يوم وكل ساعة. أما صحْن المسيح فهو عزاؤه وفداؤه ومسحة روحه القدوس. هكذا يُشارِك المسيحُ الإنسانَ، ويشترك الإنسان مع المسيح. هو تبادُل الأعواز مع العطايا ممزوجة بالمحبة التي تجعل همومنا مقبولة عنده، وعطاياه مبهجة لقلوبنا جداً. وهذا هو عمانوئيل الله معنا، وهذا هو الوعد: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠). إنه وعد الحياة المسيحية الذي نعيش عليه، ولولاه لقتلتنا غربة العالم وانقطاع العزاء والمحبة.

وفي الحقيقة، إنها هي هذه الغربة عينها وهمّ هذا العالم، اللذان جعلا المسيح يُعطي وعده هذا ويُهيئ حضرته لدوام بقائها معنا، طالما دعوناها بنداء الحب وذرف الدموع. فشعور الإنسان بالغربة في العالم، وإحساسه بالخوف الدائم من لصوص الكنوز القلبية، وتوجُّعه من أجل الكنيسة التي باتت متغربة عن عريسها؛ هو الذي يعطي المسيح الإحساس بضرورة المجيء والسُّكنى حتى يُنشئ في قلب الإنسان خيمته السماوية، ليُشعِر الإنسان أنه مواطن سماوي مهما تألَّبتْ عليه مواجع الأرض والناس والزمان. وهذا هو الذي قال عنه المسيح: إن خرافه يعرفها بأسمائها وإنه يجمعها إلى حظيرته ويطعمها نعمته وسلامه، فتدخل وتخرج وتجد مرعى. هكذا نعيش مع الراعي الصالح الذي نَصَبَ خيمته بشبه حظيرة داخل قلوبنا، ندخل إليه في سلامه ونخرج محمَّلين بالعطايا.

لكن إن استثقلنا غربتنا وتآلفنا مع العالم، بمعنى: إن خرجنا نطلب عزاءنا من أفواه الناس، وشبعنا من خبز الشركة الدنيوية؛ لا يجد المحبوب سبباً للمجيء إلينا. لا كأنه يُعادينا، ولكن كأنه يستثقل نفسه علينا، إذ يحس أنه ضيف غريب أو كمسافر ليس له مكان للمبيت. ولكن، للذين كرَّسوا القلب له وزرعوا فيه صليبه، حتماً يأتي.

(مايو ١٩٩٩)

الفصل الأخير

التسليم

✥✝✝✝✥

الآن بعد أن علمت، أيها القارئ العزيز، حقيقة الخليقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي، وتأكَّدت أن كل ما قيل هو الذي قاله المسيح في الإنجيل والرسائل في موضعها المذكور، وهو ما قاله بولس الرسول عن فم المسيح الذي استُعلِن له وأعطاه الدراية الكاملة **بسرِّ** المسيح، ونقله إلينا في موضعه كقوله:

+ «بسبب هذا أنا بولس، أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأُمم (والأُمم هم نحن بالتالي وبالضرورة)، إنْ كنتم قد سمعتم **بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم** (نعم، سمعنا وقرأنا وتأكَّدنا). أنه بإعلان عرَّفني بالسرِّ. كما سبقتُ فكتبتُ بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدرون **أن تفهموا درايتي بسر المسيح** (نعم، فهمنا وتأكَّدنا بدرايتك الفائقة بسر المسيح، يا بولس الرسول)... أن الأمم (أي نحن) شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل.» (أف ٣: ١-٦)

والآن عليك، أيها القارئ، أن تدرك إدراكاً واعياً أن فهمك لكل هذا وكل ما جاء في كتاب: "الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي" (بجزئيه)، هو عديم القيمة **إلاَّ إذا استلمته استلاماً** من فم الرب يسوع، كما استلم بولس الرسول: «**لأنني تسلَّمتُ من الرب ما سلَّمتكم...**» (١كو ١١: ٢٣)، وكما استلمه القديس لوقا: «**كما سلَّمها** إلينا الذين كانوا منذ البدء مُعاينين وخدَّاماً للكلمة...»

(لو ١:٢)، وأيضاً هذه الآية التي تمعن في التفريق بين التعليم والتسليم: «وما تعلّمتموه، **وتسلّمتموه**، وسمعتموه، ورأيتموه فيَّ، فهذا افعلوا، وإله السلام يكون معكم.» (في ٤:٩)

ويلزم أن تفرِّق، أيها القارئ، بين يسلِّم أو سلّم παραδίδωμι وبين يعلّم، فتسليم الحقيقة أو الإيمان أو الوصية هي إيداعها في الوعي أو في القلب المفتوح كاختبارٍ حيٍّ أو فعل وعمل يرقى إلى مستوى **الاختبار الشخصي**، وهذا غير الفهم أو المعرفة. فالفهم أو المعرفة يكون بالفكر وأقصاه يكون تصديقاً، ولكن **التسليم هو أخذ الحقيقة والاشتراك فيها والحصول عليها كما حدثت كفعل إلهي فائق.**

فبولس الرسول كان **يسلّم الحقائق الإلهية**، وأهمها موت الرب وقيامته، بمعنى أنه يجعل الأمم في أي مدينة يكرز فيها بالإنجيل أن يقبلوا بالروح هذه الحقيقة الإلهية، بمعنى أن يحصلوا عليها، أي يكونوا شركاء فيها بالروح، ثم كان يعود ويُرسل لهم الرسائل الخاصة ويشرح لهم معنى الموت والقيامة روحياً ليُدركوا بالفهم ما أدركوه بالفعل.

ولكن بالنسبة لنا أصبح الفهم يأتي أولاً بالوعظ والتعليم، وللحزن والمرارة يكتفي المؤمنون بالفهم والتعليم ويعتبرونه أنه الإيمان.

ولكن فرق بين أن نفهم الإيمان، وأن نحصل على فعله أو نشترك في عمله. فأنت تؤمن بالموت والقيامة بالفهم ويمكنك أن تشرح ما هو الموت والقيامة، بل ويمكنك أن تعلّم بها وتُفهِّمها للآخرين دون أن تنال **فعل** الإيمان، أي تقبُّل فعل موت المسيح وقيامته أي تشترك فيهما؛ الأمر الذي على أساسه قيلت الآية: «لأنكم قد مُتّم (مع المسيح) وحياتكم مُستترة مع المسيح في الله» (كو ٣:٣). بمعنى أن المؤمن الحقيقي بالمسيح قد أصبح "ميِّتاً"، ولكن حياته الجديدة مخفية عنه، أي "مستترة مع المسيح"، كما أن المسيح الحي مستتر عنّا أي غير منظور.

ولكن المسيح حينما كسر الخبز أعطى بيده كلاً من الرسل كسرة خبز قائلاً: «خذوا كلوا هذا هو جسدي» (مت ٢٦:٢٦)، ولَمَّا ذاق أعطى الكأس أيضاً لكل واحدٍ قائلاً: «اشربوا منها كُلُّكم، لأن هذا هو دمي» (مت ٢٦:٢٧و٢٨). بمعنى أنهم صاروا شركاء في جسده ودمه الذي مات والذي قام، فصاروا شركاء في موته وقيامته، أي أنهم ماتوا معه وقاموا معه.

وكنيستنا القبطية المرتشدة بالروح القدس تعلِّم وتسلِّم أن المسيح نفسه هو الذي يقسِّم "قربانة الحَمَل"، وهو الذي يناول كل واحد بيده ويسقيه من الكأس بيده. أي أن المسيح **يسلِّمنا موته وقيامته**، لنكون شركاء موته وقيامته. وهذا يُطابق ما قاله بولس الرسول إننا متنا معه وقمنا معه.

ولكن في هذا القول **الشق الأول منه فهم**، وهذا ما ظلَّ يشرحه بولس الرسول على مدى كل رسائله. **أما الشق الثاني فهو تسليم فعلي** لجسده المكسور ودمه المسكوب أي موته الذي صنعه المسيح يوم الجمعة وأكمله فجر الأحد.

فكلمة "**خذوا**" سواء كانت في الجسد أو في الدم λάβετε تعني بكل دقة التسليم بالعطاء، يقابلها قول المسيح عند ظهوره بعد القيامة في العليَّة قوله: "**اقبلوا**" عطية الروح القدس، وهي باليونانية نفس كلمة: "**خذوا**" λάβετε، والاثنتان تعطيان صيغة "التسليم" باليد وبالفم والنفخ، حيث التسليم بالنفخ هو أقصى حالات التسليم، وأوله وأعظمه كما كان في خلقة الله لآدم الأول حينما "نَفَخَ" في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيَّة. يقابلها في العهد الجديد نَفْخ المسيح في تلاميذه "الروح القدس" لقبول الحياة الأبدية، وما يقابلها في المعمَّدين بنفخة الكاهن في أنف المولود من الماء والروح ثانية، ميلاداً جديداً لقبول حياة للإنسان الجديد المولود بالسر الإلهي بفعل قيامة المسيح من بين

الأموات حسب الآية: «ولدنا ثانية لرجاء حيّ، بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ١:٣). فالكاهن في المعمودية يُجري الموت والقيامة، أي سر الميلاد الجديد، الذي تمَّ بقيامة المسيح من بين الأموات، من لحمه ومن عظامه.

وهناك التسليم بالسمع وهو أول حالات التسليم التي جاءت في العهد القديم: "اسمع يا إسرائيل" (شمّاع)، والكلمة لها دويها في المفهوم الإسرائيلي حيث كانت أول عملية تسليم من الله لشعب: «اسمع ἄκουε يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد...» (تث ٦:٤). حيث تأتي اسمع بصورة الأمر، وحيث أمر الله هو بمثابة خلق للوعي والانفتاح والاستجابة. لذلك يقدِّس شعب إسرائيل جداً قول "اسمع"، لأن فيه بدء حياتهم أمام الله. وهكذا يدخل أمر الله "اسمع" كأول محاولة تسليم للشعب لأمر الله ليكون دستور حياتهم.

وهكذا دخلت قوة السمع عند الإنسان أمام الله كوعاء مطيع ومُصْغٍ لأمر الله. لهذا نسمع عالي الكاهن يلقِّن صموئيل الصغير أن يقولها بمجرد سماع الله حتى يتكلَّم معه الله بما يريد: «تكلَّم يا رب لأن عبدك **سامع**» (١صم ٣:٩). والمعنى: "إني على أتمّ الاستعداد "لتسلُّم" أمرك". وبهذا يدخل السمع كوعي روحي صادق كواسطة "تسليم". وهذا يردِّده المسيح صريحاً وواضحاً: «الحق الحق أقول لكم: إن **مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة**» (يو ٥:٢٤). وهذه في المقابل الأكبر والأعظم لـ «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد»، فهنا "السمع" للمسيح له الحياة الأبدية والانتقال المباشر من الموت إلى الحياة الحقيقية الدائمة.

- فماذا يمكن أن يعمل المسيح كمعلِّم ليسلِّم الحياة الجديدة للإنسان الجديد، فهو أعطانا جسده ودمه وقال: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية» (يو ٦:٥٤)، وعاد وكرَّر أن: «مَنْ يأكل جسدي

ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو ٦:٥٦)، ويحيا بـه: «فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦:٥٧). وقد حـدَّد نـوع المادة الـتي نكسرها باسمه ونأكلها مجتمعين بالخبز العادي الذي يُحيي الجسد الآدمـي، وقـد حوَّلـه بقوة الحياة الأبدية التي فيه إلى خبز للحياة الأبدية، ليتحوَّل الخبز اليومـي لنا إلى خبز سمائي، لأنه هو الخبز الحي الأبدي النازل من السـماء ليأكل منه الإنسان ولا يموت (يو ٦:٦٠)!

- وها نحن قد أكلنا الخـبز الحـي السـمائي لنـأخذ الحيـاة الـتي لـه ونصـير فيـه، والتسليم هنا تسليم شخصي. فإذن، نحن نحيا فيه وهو يحيـا فينـا. وهـذا هـو الإنسان الجديد الذي خلقه بقيامتـه مـن بـين الأمـوات. وهـذا هـو الإنسـان الجديد، الخليقة الجديـدة، الـتي وُلدنـا منهـا بقيامـة يسـوع المسيح مـن بـين الأموات بلحمه وعظامه، فصرنا لحماً من لحمه وعظماً من عظامه مخفياً فيه، ولكن متَّحداً بأبيه!
- «ولدنا ثانية لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح مـن الأمـوات» (١بـط ١:٣). وهكذا فالمولود من الروح يكون، كما قال المسـيح، كـالهواء لا تعـرف مـن أين يأتي ولا إلى أين يذهب (يو ٣:٨)؟!
- وكما قال بولس الرسول: «لأنكم قـد مُتُّـم (بجسـده الـذي مـات علـى الصليب) وحياتكم **مُستترة مع المسيح في الله**» (كو ٣:٣). فأنت تحيـا في الإنسان الجديد بلحم المسيح وعظامه الـذي قـام مـن بـين الأمـوات، المستتر عن عيوننا وهو قائم في الله!!

وهنا يبرز عامل "الرجاء" الذي اكتسبناه من الإيمان بالمسيح: «الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حيّ، بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ١:٣). أي أننا نعيش رجاءً حيًّا في كل لحظـة، أننـا وُلِدنـا كخليقـة جديـدة في

المسيح لحظة أن قام من بين الأموات وظهر في العليَّة وكشف عن لحمه وعظامه، مبرهناً أنه قام بجسد جديد، بلحمٍ جديد وعظامٍ جديدة لا يقوى عليها الموت بعد، مخفية أي مستترة عن العيون ظاهرة أمام الله وكل الخلائق السماوية.

وإذ لنا هذه الخليقة الجديدة للإنسان الجديد يتحتم علينا أن نفهم أنها أعلى من الملائكة ورؤساء الملائكة والسلاطين والقوات التي للدهر الآخر كقول بولس الرسول بتأكيد:

+ «يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غِنَى مجد ميراثه في القديسين، وما هي **عظمة قدرته الفائقة نحونا** نحن المؤمنين، **حسب عمل شِدَّة قوته الذي عمله في المسيح**، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويَّات (وأجلسنا معه)، **فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمَّى** ليس في هذا الدهر فقط بل **في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء** تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء (لِمَنْ؟؟؟) (لِمَنْ اكتسب هذه المعاني والتفوُّق الفائق فوق كل الخلائق السماوية؟؟؟): للكنيسة، التي هي جسده (التي هي نحن)، ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف ١:١٧-٢٣)

انظر الآن، أيها القارئ، إن إنساننا الجديد المخلوق بقيامة المسيح من بين الأموات المعبَّر عنه بالكنيسة هو أعلى من كل الخلائق السماوية لأنه جسد المسيح.

ثم عُدْ معي وتأمل ما قد صار للكنيسة التي هي جسده الجديد، التي هي الإنسان الجديد، كيف يقول بولس الرسول إنها تبشِّر السمائيين بهذه الخليقة الجديدة:

+ «أُعطيت هذه النعمة، أن أُبشِّر بين الأمم (شركاء الميراث والجسد الجديد) بغِنَى المسيح الذي لا يُستقصَى، وأُنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور (أن الأمم شركاء في الميراث والجسد) في الله خالق الجميع (للإنسان الجديد) بيسوع المسيح. **لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويَّات، بواسطة الكنيسة** (أي نحن الخليقة الجديدة للإنسان الجديد)، **بحكمة الله المتنوعة**، حسب **قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا** (فينا). الذي به (أصبح) لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة (إذ قد صار لنا كل غِنَى المسيح وميراثه في الآب).» (أف ٣:٨-١٢)

الآن، انظر أيها الإنسان المسيحي، كيف صرت خليقة جديدة بقيامة المسيح من بين الأموات، من لحمه ومن عظامه، لتكون أنت آية القيامة التي قامها المسيح، وقد ملكت كل ميراث المسيح في الآب: «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنَّا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو ٨:١٦و١٧). فليس ميراث أسرة ولا ميراث عالم ولا ميراث أرضيات بعد، بل ميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ لنا في السموات (١بط ١:٤).

غاية القصد في الخليقة الجديدة وبلوغها قمة المنتهى

لقد قصد الله أن يهب للإنسان خلقة جديدة يخلع فيها آدميته ويلبس المسيح: «لأن كلكم الذين **اعتمدتم** بالمسيح قد **لبستم المسيح**» (غل ٣:٢٧)، هذا هو الإنسان الجديد الذي يتجدَّد: «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو ٣:٩و١٠). هذا هو الإنسان الجديد الذي أُعْطِيَ لنا أن نلبسه: «وتتجدَّدوا بروح ذهنكم،

وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.» (أف ٤:٢٣و٢٤)

لم تكن هذه الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي هبة طارئة عليه أو زيادة تكريماً له، بل كانت من أولى أساسيات خلقة الإنسان التي كانت في قصد الله منذ قبل إنشاء العالم والزمن، اسمع:

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي **باركنا** بكل بركة روحية في السماويَّات في المسيح. **كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم**، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، إذ سبق **فعيَّننا للتبنِّي** بيسوع المسيح **لنفسه**، حسب مسرَّة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١:٣-٦)

يتبيَّن من هذا أن خلقتنا أساساً قامت لتكون في المسيح، أي خارجاً عنه لا يكون لنا وجود، وأن الله عيَّننا قبل الزمن لنكون أولاده بالتبنِّي بيسوع أي باتحادنا في الابن، وذلك كان لمسرَّة نفسه ومشيئته.

هذا يعني أن خلقتنا الجديدة التي صارت لنا في النهاية بواسطة يسوع المسيح، هي أصلاً منتهى قصد الله منذ الأزل، وقبل إنشاء العالم والزمن، وقبل خلقة آدم والإنسان الترابي. فقد كان في صميم قصد الله النهائي من خلقة الإنسان أن يلبس صورة السماوي:

+ «وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضاً صورة السماوي (الذي أخذنا عربونه في الإنسان الجديد).» (١كو ١٥:٤٩)

وقد جاءت خلقة الترابي آدم وبنيه أولاً، وكان سقوطه وحرمانه من الوجود مع الله وطرده من أمامه ليس خطأ في حسابات الله، ولكن ثمناً للحرية التي أعطاها خلقته الآدمية الأولى، لأن آدم استخدم حريته التي أعطاها له الله

في أن يأكل من الشجرة المحرَّمة أو لا يـأكل، ولكـن اشـترط عليـه أن لا يـأكل منها، ويوم أن يدوس على شرط الله ويستخدم حريته ويأكل منها موتاً يموت، فأكل واكتسب اللعنة وعقـاب المـوت. وهكـذا كشـف الله، كخـالق حكيـم، عوار الطبيعة الترابية التي انحازت بحرية إرادتها وسمعت لمشورة الشيطان. وكـان عقاب الموت حكمة، لأنه لو عاش الإنسان بدون عقاب الموت بعد أن داس أمر الله واستمع لمشورة الشيطان، لبَقِـيَ كـل حياتـه عاصيـاً متمـرداً مخالفـاً لله، وصديقاً خادماً لمشورة الشيطان. فعقوبة الموت للطبيعـة الترابيـة أعطـت فرصـة للإنسان ولله أن يخلِّصه من عقوبة الموت بأن يهبه طبيعة جديدة من لدنه منزَّهة عن الخطية والخطأ والعصيان وسلطان الشيطان، بميلاد جديد للإنسـان، ميـلاداً روحياً سماوياً لخليقة جديدة ثانية روحية للإنسان.

هذا تمَّ بعد أن هذَّب الله الإنسان بالوصايا والتأديبات الكثيرة بواسطة ملوك وأنبيـاء كثيرين لمـدد مـن آلاف السـنين، ليتهيَّـأ لقبـول هـذه الطبيعـة الجديـدة السماوية.

وأخيراً، وبسبب محبة الله الكثيرة لبـني الإنسـان الـذي خلقـه أصـلاً حسـب مسرَّة نفسه – ليقف بالنهاية أمامه لمدح مجده في حالة قداسة وبـر وبـلا لـوم – أرسل الله كلمته، أي فعله الخالق، وتجسَّد في جسـد إنسـان أخـذه مـن عـذراء قديسة وبلا أب، واتَّحد لاهوته بهذا الجسـد الطـاهر، فـأصبح جسـده لانهائيـاً بلاهوته، إذ اتحـد الزمـني بـاللازمني والمحـدود بـاللامحدود، فكـان بـدء الإنسـان الجديد. واحتوى كل البشرية جميعاً: «لأنه فيه سُرَّ أن يحل كل الملء (لاهوتياً)، وأن يُصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه» (كو ١:١٩و٢٠)، فوُلِـد الكلمة، وكان اسمه يسوع، له كـل مجـد الآب ولكـن مخفيـاً عـن أعين النـاس. وحَمَل هذا الإنسان "يسوع" كل خطايا الإنسـان – وهـو القـدوس الطـاهر – عن رضا وقبول لَمَّا اتهمه رؤساء الكهنة جميعاً بكل أنواع الخطايا أمام المحكمـة

الرومانية، ولم يُدافع عن نفسه ولا عارَض المشتكين عليه، ولا عارَض حكم القاضي الروماني، بل قَبِلَ الحكم بالصلب.

وهكذا حَمَل خطايا الإنسان في جسده على الخشبة – خشبة الصليب – وقَبِلَ **"حكم الموت"** كخاطئ وهو بريء من كل خطية وله طبيعة سماوية إلهية قدوسة وبلا لوم. لذلك بعد أن أكمل عقوبة الموت لثلاثة أيام، قام من بين الأموات. وكما احتوى جسده كل البشرية، احتوى كل خطاياها بموته فأكمل عقوبة الموت عن كل البشرية. وكما احتوى كل البشرية في موته، احتوى كل البشرية في قيامته، ولكن بشرية بلا عقوبة ولا حكم موت بعد؛ إذ صالح البشرية الخاطئة – المحكوم عليها بالموت – بالله الآب بواسطة الصليب. هذه البشرية الجديدة التي قامت في جسد المسيح القائم من بين الأموات هي الإنسان الجديد المخلوق جديداً.

وقد حدث أن المسيح لَمَّا قام من بين الأموات، دخل في العلِّيَّة التي كان مجتمعاً فيها التلاميذ الذين أغلقوا على أنفسهم الأبواب خوفاً من رؤساء الكهنة واليهود بعد أن مات معلِّمهم ودُفن، فلمَّا ظهر أمامهم يسوع المسيح حسبوه روحاً، فتقدَّم المسيح:

+ «وفيما هم يتكلَّمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: سلامٌ لكم. فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحاً. فقال لهم: ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم. **انظروا يديَّ ورجليَّ: إني أنا هو.** جُسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس له **لحم وعِظام كما تَرَوْنَ لي.** وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه.» (لو ٢٤: ٣٦–٤٠)

هذا يعني أن المسيح قام من بين الأموات، وبالرغم من أنه كان غير منظور لكثيرين، ظهر لتلاميذه في العلِّيَّة وهي مُغلَّقة الأبواب وأراهم يديه ورجليه وطبعاً آثار المسامير، وأضاف أنه "أنا هو" أي نفس المسيح قبل الموت، وأراهم

بصورة خاصة أنه **بلحمه وعظامه**؛ أي أنه قام من بين الأموات ليس بالروح فحسب ولكن بلحم وعظام كإنسان جديد له صفات جديدة يُرى ويُحس إذا شاء، ولا يُرى ولا يُحس إذا أراد. هذا هو الإنسان الجديد الذي قام من بين الأموات إنساناً جديداً يحمل في جسده المُقام كل البشرية التي ماتت بموته وقامت جديداً بقيامته. لذلك يُقال عن حق وحقيقة: «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة **ولدنا ثانية لرجاء حي، بقيامة يسوع المسيح من الأموات**، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السماوات لأجلكم» (١بط ١:٣و٤). هذا يعني أننا أخذنا خليقتنا الجديدة في المسيح عندما مات وقام. فعند قيامتنا معه اعتُبرَ هذا أنه بمثابة ميلاد ثانٍ جديد لنا ندخل به الحياة الأبدية في المسيح. وقد تأكّد لنا من قول المسيح بعدَ القيامة أنه بلحمه وعظامه، أننا وُلدنا جديداً من لحمه ومن عظامه كما يقول بولس الرسول: «**لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.**» (أف ٥:٣٠)

معنى هذا أن الجسد الجديد للخليقة الجديدة للإنسان المولود بقيامة المسيح من بين الأموات هو جسد حقيقي، لحمه من لحم المسيح المُقام، وعظمه من عظام المسيح المُقام، تماماً كما قال آدم في الخلقة الترابية الأولى عن امرأته التي خلقها الله من أحد أضلاعه: «فأوقع الرب الإله سُباتاً على آدم فنام (ومقابله أن المسيح وقع في سبات الموت). فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي، ولحم من لحمي.» (تك ٢:٢١-٢٣)

وكوننا لحماً من لحم المسيح وعظماً من عظامه بالقيامة من بين الأموات؛ فقد حقّقه لنا المسيح بإعطائنا جسده ودمه في سر التناول لنأكله ونشربه فنصير لحماً من لحمه وعظماً ودماً من عظمه ومن دمه. وهذا هو القول أن مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه، بمعنى الاتحاد غير المنفصم: «أنتم فيَّ

وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠)، و«مَنْ يأكلني فهو يحيا بي.» (يو ٦: ٥٧)

فبسر الإفخارستيا يعطينا الرب أن نأكله ونثبت فيه ونحيا فيه، وهو يحيا فينا، وهذا هو بعينه الإنسان الجديد، المولود بقيامة الرب من بين الأموات والمخلوق حسب صورة خالقه. ومعروف أن المسيح هو الإله الحق القدوس، لذلك يقول بولس الرسول: «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٤). وإلى هنا نكون قد وفَّينا **قصد** الله في خلقتنا قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.

قمة المنتهى

التي للخليقة الجديدة التي قصدها الله للإنسان

ليس جزافاً أن تنتهي خلقتنا الجديدة في الإنسان الجديد على **صورة واحدة** هي صورة خالقنا: «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة **حسب صورة خالقه**، حيث ليس يوناني ويهودي، ختان وغُرْلة، بربري سِكِّيثي، عبد حُر، **بل المسيح الكل وفي الكل**» (كو ٣: ٩-١١). ولقد أُعطِيَ للإنسان بالروح أن يمتد حتى يبلغ نفس **هذه الصورة عينها**: «ونحن **جميعاً** ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، **لتغيَّر** إلى تلك **الصورة عينها**، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.» (٢كو ٣: ١٨)

فالإنسان الجديد ولو أنه مخلوق على صورة المسيح لأنه منه، من لحمه ومن عظامه، ولكن قد أُعطِيَ للخليقة الجديدة أن تمتد لتطابق صورة خالقها في المجد لأنها مخلوقة لتكون على صورته تماماً؛ لذلك أُعطِيَ لها أن تمتد لتبلغ غاية المسيح منها. ففي الآية السالفة جُعِلَ مجرد النظر الروحي المثبَّت في المسيح بكل قوة وإخلاص قادراً أن يرتفع بنا من مجد إلى مجد، شريطة أن يكون بدون برقع، الذي هو الناموس

والوصايا والقوانين والتقاليد الميتة والتراث البشري عديم الروح؛ وذلك بعمل الروح وهو رب المجد.

وفي موضع آخر يجعل النمو نحو رأس الخليقة الجديدة وصورتها هو عمل المحبة الصادقة: «**بل صادقين في المحبة، ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح.**» (أف ٤:١٥)

ويعوزني هنا جداً أن أشرح ماهية المحبة، وكيف تعمل وتربط وتمتد؛ لأن الأصل في الإنسان الجديد، كخليقة روحانية جديدة للإنسان، هو أنه على صورة خالقه. فإن كان لكل منّا صورة المسيح، فمن أين تأتي البغضة؟ ومن أين يأتي الخصام والانقسام، وهي أسلحة الشيطان الموروثة في الإنسان العتيق المتآخي مع الشيطان؟ فإن كانت صورة المسيح هي "مجد الله" حقًّا، فكل صورة له لابد أن تشع بالمحبة أو بالحب الجاذب، كل واحد منّا يرى أخاه المثل الأعلى الذي يتمنى أن يكون. وهكذا نتسامى في رؤيتنا بعضنا لبعض، ومن هذا الامتداد والتسامي في مجد الرب نزداد قُرْبَى ونزداد أُلفة وحباً واتحاداً. هذا هو عمل الإنسان الجديد المخلوق على صورة واحدة هي صورة مجد الله في وجه يسوع المسيح.

فغاية الإنسان الجديد حسب خلقته على صورة واحدة وحيدة هي صورة مجد خالقه، مآلها حتماً إلى اتحاد بالضرورة بحسب جاذبية الحب والجمال في وجه المسيح الذي نشابهه في كل شيء حسب قول القديس يوحنا في رسالته:

+ «والآن أيها الأولاد، اثبتوا فيه، حتى إذا أُظْهِرَ يكون لنا ثقة، ولا نخجل منه في مجيئه. إنْ علمتم أنه بارٌّ هو، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه. انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله... أيها الأحباء، الآن **نحن أولاد الله**، ولم يُظْهَر بعد ماذا سنكون. ولكن **نعلم أنه إذا**

أُظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو!» (١يو ٢:٢٨و٢٩؛ ٣:١و٢)

وإلى هنا يحط القلم على قمة المنتهى للإنسان الجديد وغاية الله منه التي أفصح عنها القديس بولس في قوله:

+ «لأن كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبدٌ ولا حُرٌّ. ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع.» (غل ٣:٢٧و٢٨)

+ «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. **إلى إنسان كامل** (خليقة جديدة)، **إلى قياس قامة ملء المسيح!**» (أف ٤:١٣)

حيث يكون المسيح قد أعاد للبشرية وحدتها الكاملة في الإنسان الجديد الكامل وصورتها الكاملة لله بعد أن تفتّتت صورة الله التي كانت في آدم بسبب العصيان والخطية.

وهنا الثقل منتهى الثقل على حب الله المعادِل الذي بذل الابن من أجل أن ينجمع الإنسان أخيراً بالحب الأبوي في بنوَّة على قياس المسيح في المسيح: «وسأُعرِّفهم **ليكون فيهم الحب** الذي أحببتني به، **وأكون أنا فيهم.**» (يو ١٧:٢٦)

هذا هو دعاء الابن للآب لحظة ما قبل الصليب!

(فجر ٢٨ يولية ١٩٩٨)

• الخليقة الجديدة ترادف وجودنا في المسيح، ووجود المسيح فينا. فالإنسان الجديد هو المسيح فينا أو هو نحن في المسيح. والآن ما هي النتائج المتعدِّدة الأوجه المترتبة على وجود المسيح فينا، ووجودنا في المسيح؟

• إن بيت لحم هي مهدنا الجديد الذي منه تقبَّلنا إنساننا الجديد. والناصرة مسرح شبابنا. والجليل هو موطن جهادنا وصدامنا مع الناموس والقوَّامين عليه. هذا هو امتحان إيماننا كل يوم، فكل مشكلة روحية يخلقها لنا الناس والعالم، يردُّ عليها المسيح الذي فينا الذي ناقش وحاور وغلب من أجلنا ليعطينا بنفسه وبروحه الغلبة. لقد بنى لنا المسيح بنفسه وفي نفسه إنساننا الجديد الذي يغلب بالمكتوب.

• الإنسان الجديد ولو أنه مخلوق على صورة المسيح لأنه منه، من لحمه ومن عظامه، ولكن قد أُعطِيَ للخليقة الجديدة أن تمتد لتُطابق صورة خالقها في المجد لأنها مخلوقة لتكون على صورته تماماً؛ لذلك أُعطِيَ لها أن تمتد لتبلغ غاية المسيح منها.



الثمن ٣ جنيهات